عظمة الجناب النبوي
في
ضوء سورة الأحزاب
دراسة موضوعية

إعداد

د. دينا سامي حسن أحمد

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق

جامعة الأزهر

مجـــلة
كلية الدراسات الإسلامية للبنين
بأســـــوان

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

العدد السابع

إصدار ديسمبر ٢٠٢٤م

الترقيم الدولي الموحد للطباعة: ISSN ٢٨١٢-٥٢٦٦

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: ISSN ٢٨١٢-٥٢٧٤

موقع المجلة https://fisb.journals.ekb.eg

رئيس مجلس الإدارة والتحرير

أ.د. كامل محمد جاهين إسماعيل

أستاذ الحديث وعلومه

وعميد كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان

نائب رئيس مجلس الإدارة

أ.د. حسن إبراهيم مصطفى

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

ووكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب

مدير التحرير

د. أحمد فكري صديق

مدرس الفقه العام بالكلية

أعضاء مجلس الإدارة

أ.د. أحمد الأمير محمد جاهين

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

د. حمدي محمد ضيف حسين

مدرس التفسير وعلوم القرآن

د. سامي خميس بهنسي

مدرس أصول الفقه بالكلية

د. محمد رمضان

مدرس أصول الفقه بالكلية

الهيئة الاستشارية

أ.د / طارق عثمان الرفاعي إبراهيم

أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

جامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية

أ.د/ بلخير طاهري الإدريسي

أستاذ أصول الفقه بجامعة وهران - بالجزائر

أ.د/ أحمد عبد العزيز السيد سليم

أستاذ أصول الفقه بجامعة البحرين - بالبحرين

عظمة الجناب النبوي في ضوء سورة الأحزاب – دراسة موضوعية

دينا سامي حسن أحمد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر، الزقازيق، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Dinasami.2167@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مظاهر العظمة، والإجلال، والتوقير للجناب النبوي الرفيع، وذلك من خلال سورة الأحزاب، والتي اهتمت اهتمامًا كبيرًا ببيان قدر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو: المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي النقدي، وذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية السورة الكريمة، والتي اعتنت بموضوع الجناب النبوي، فقد بدأت السورة بالنداء بمقام النبوة خمس مرات، ووصفته بعدة أوصاف خاصة به وحده، فهو الولي لكل مسلم، وهو المفضل بأخذ الميثاق من الله بالإيمان قبل جميع الأنبياء -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، والشاهد على كل الأمم التي سبقته، والمبشر، والنذير، والداعي إلى الله بإذنه، والسراج المنير لكل الكون، وتجلت العظمة للجناب النبوي الرفيع في اقتران إرادة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بإرادة الله، والقنوت للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كالقنوت لله، وقضاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كقضاء الله، وإيذاء النبي كإيذاء الله وطاعته من طاعة الله، وقمت بالرد على بعض شبهات المتطاولين والطاعنين على هذا المقام الرفيع من خلال تلك السورة؛ كشبهة زواجه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من السيدة زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، وشبهة تعدد زوجاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأيضا شبهة عدم تعظيم جنابه الشريف، ومن يتنقص من شأنه فلا يقدم لفظ السيادة قبل اسمه الشريف، ولا يبجله بحجة أنه لم يأمر-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بذلك، وبينت أهم النتائج التي توصلت إليها أن عظمة الجناب النبوي تتمثل في سور كثيرة للقرآن الكريم وسورة الأحزاب أبرزها، وأن مقام الأدب مقدم على امتثال الأمر، وأن المتطاولين على الجناب

النبوي المعظم شبهاتهم مردودة بالحجج والبراهين الدامغة كل هذا في دراسة موضوعية مفصلة من خلال السورة الكريمة.

الكلمات المفتاحية : عظمة، الجناب، النبوي، سورة الأحزاب، موضوعية.

The greatness of the Prophetic value throughout surah Al-Ahzab (An objective study)

Dina Sami Hassan Ahmed,

Professor at Department of Quran Exegesis and its Science, Faculty of Islamic and Arabic Studies (Female Students) in Zagazig, Al- Azhar University, Egypt.

E-mail: Dinasami.2167@azhar.edu.eg

Abstract:

The study aims to highlight the aspects ofgreatness ,majesty and veneration for thProphetic position and his elevated rank. This is done through an exploration of Surah Al-Ahzab, which givesa great attention to clarifying the esteemed position of the Prophetpeace be upon him.The In this study, the adopted approach is the descriptive, analytical, and inductive method; throughout the following the Qur'anic verses in Surah Al-Ahzab that interested in the topic of the Prophet's noble stature.Surah begins by addressing the Prophet's rank of prophethood five times, describing him with attributes unique to him alone. He is the guardian of every Muslim and the one privileged by receiving the covenant of faith from Allah before all prophets, peace be upon them all. The prophet peace be upon him is the witness over all nations that came before him, the bringer of glad tidings, the warner, the caller to Allah by His permission, and the radiant lamp illuminating the entire universe. This greatness is appeared to the prophetic position when the Prophet's will was linked to Allah's will; reverence toward the Prophet was linked to reverence toward Allah; His judgments are such as the judgments of Allah; harming the Prophet is the same of harming Allah ; and the obedience to Him is the obedience to Allah.

In this study, I respond to some arrogants ' suspicions and accusations directed at this elevated status, drawing insights from the Surah. such as suspicion of his marriage to Lady Zainab

bint Jahsh, may Allah be pleased with her, and the suspicion of his multiple marriages. As soon as, the claim of failing to show proper reverence for his Eminence statement or non glorification to Him. Further more anyone who decreases from His Estimated, either by omitting the honorific title before his name or by refusing to venerate Him claiming that He peace be upon Him did not command this. Also I showed the most important results that I recently reached to it, that the greatness of the prophetic position is represented in a lot of surahs in Quran and the most notable in surah Al-Ahzab. That the position of politeness is put before the position of obedience command. Therefore, the arrogants over the prophetic esteemed position and their suspicions are rejected by proofs and conclusive confirmatios . All this is based on an objective analysis study throughout the blessed Surah.

KeyWords: Greatness, Eminence, Prophetic, Surah, Al-Ahzab, Objective.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد، فنبينا صلوات الله وسلامه عليه هو أكمل الخلق روحًا وعقلًا، وأعلاهم قدرًا وذكرًا، وأرفعهم فضلًا ونبلًا وأشرفهم مجدًا وعزًا، وأحسنهم خلقًا وخلقًا، وأطهرهم نيةً وقصدًا، وأهداهم طريقًا وهديًا، والمتأمل في سور القرآن الكريم يراها قد اهتمت بتعظيم قدر النبوة وصفات الأنبياء، وإبراز مقامهم وشرفهم، ومن بين هذه السور سورة الأحزاب، والتي اهتمت اهتمامًا بليغًا بتعظيم الجناب النبوي الرفيع، وبينت ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمنين من الاقتداء والتأسي به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في جميع أموره وأحواله؛ لأنه أكمل البشر في إنسانيته، وأعرفهم بمواقع الكمال الحسي والمعنوي، ولقد عظم الله تعالى هذا الجناب المشرف باعتباره الواسطة بيننا وبينه سبحانه، ولا شك أن تعظيم الوسائط هو تعظيم للشعائر، ففي هذه السورة ناداه بمقام النبوة خمس مرات، ومنحه من الأسماء والأوصاف ما تميز به على سائر الأنبياء، فهو الولي لكل المؤمنين، ورسول الله وخاتم النبيين، وهو والشاهد والمبشر والنذير، والداعي إلى الله والسراج المنير، وزاده عظمًا وشرفًا؛ فصلى عليه بنفسه، وثنى بجنوده التي لا تعد كثرة من ملائكته، ثم أمرنا بالصلاة والتسليم عليه، وحذر من إيذاءه بالسب له أو لآل بيته فتوعدهم باللعنة والخروج من رحمته، ووعد من أطاعه بالفوز العظيم، ولقد سلطت الضوء ببحثي هذا على تجلية مواضع العظمة للجناب النبوي في ضوء هذه السورة الكريمة، والرد على شبهات المتطاولين على هذا المقام الرفيع في بعض الأحكام الخاصة به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته كزواجه بالسيدة زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، ومسألة تعدد زوجاته، وتوقيره بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كتقديم لفظ السيادة دائما عند ذكر حضرته؛ لعلي أصل إلى غاية مقصدي وهو بيان أوجه العظمة لجنابه الرفيع، وأتشرف بالذود عن حضرة مقامه الكريم، وأنال من بركاته ونفحاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- - خصوصا - وقد ظهر كثير من الأدعياء والجهلة الذين ينادون ويعتقدون أن كمال التوحيد لله في التقليل من قدر الجناب النبوي المعظم، وتناسوا أن الله قد

مدحه بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ القلم: ٤ فهداني الله تعالى إلى كتابة بحث في هذا الموضوع، وقد قسمت الدراسة فيه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وأسأل الله -عَزَّوَجَلَّ- أن يرزقني التوفيق والسداد.

المقدمة وفيها:

أولاً: أسباب اختيار البحث:

من أهم الأسباب التي دعتني لاختيار موضوع هذا البحث ما يلي:

١- إظهار مواضع تعظيم الجناب النبوي في سورة الأحزاب.

٢- بيان ما يجب على كل مسلم تجاه مقامه الشريف وجنابه الرفيع والتقرب إلى الله بمعرفة ذلك

٣- الرد على بعض الشبهات في الأحكام الخاصة به -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

١. تسليط الضوء على المواضع والآيات الواردة في تعظيم قدر وجناب النبي العالي من خلال سورة الأحزاب.

٢. بيان الواجب على كل مسلم تجاه نبينا -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وما ينبغي تركه.

٣. تكشف الدراسة عن مكانة أزواج النبي صلى الله عليه وآل بيته الكرام وما يراعى من وجوب احترامهم وتعظيم قدرهم.

٤. اهتمت الدراسة بالرد على بعض الشبهات التي أثيرت حول الجناب المعظم من خلال هذه السورة الكريمة وتحليلها وتفنيدها بالحجة الدامغة والبرهان الساطع.

حدود الدراسة:

سيكون البحث –إن شاء الله- كاشفًا ومجليًا عن عظمة الجناب النبوي في ضوء

سورة الأحزاب فقط كما اقتصر على الأوصاف الخاصة بجنابه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه السورة فقط، وإلا فشمائله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأوصافه وأسمائه تسابقت كتب السنة على تدوينها، وكل يكتب على قدر الواصف لا على قدر الموصوف، إضافة إلى الرد على الشبهات المثارة حول الجناب النبوي المعظم في هذه السورة فقط كقصة زواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من السيدة زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، ومسألة وتعدد زوجاته، وزيارة قبره الشريف -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

إشكالات الدراسة

يمكن من خلال هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

١. ماهي أوجه تعظيم الجناب النبوي في سورة الأحزاب؟

٢. ماهي الآيات التي بينت مكانة آل بيت النبي –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– في ضوء سورة الأحزاب؟

٣. ما هي أهم الشبهات التي وردت في حضرة الجناب النبوي في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى في ضوء سورة الأحزاب؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع تبين أنه توجد دراسات كثيرة حول سورة الأحزاب بوجه وبزاوية مختلفة لكل باحث ومن هذه الموضوعات والدراسات التي أقيمت حول هذا الموضوع:

١. النصيرات جهاد محمد " **شخصية القائد في ضوء سورة الأحزاب**" بحث مقدم في جامعة مؤتة عام ٢٠١٥ م وهدفه إبراز الدور القيادي في شخصية الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع توضيح صفات القائد الناجح مع أتباعه، ومع أعدائه من خلال دراسة بعض النماذج في السور التي تحدثت عن غزوة الأحزاب ولم أتعرض في بحثي للحديث عن غزوة الأحزاب.

٢. محمد بولقصاع "**النبي محمد** -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **في سورة الأحزاب**" جامعة آل

البيت الاردن ٢٠١٠م. وتناول الباحث فيها الحديث عن شخصية النبي -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- وصفاته والأحكام الخاصة به دون تعرض لأي شبهة أثيرت في حق الجناب المعظم وهذا ما يختلف عن دراستي.

٣. آل جهجاه، الجوهرة بنت بخيت "**من بلاغة الخطاب الموجه إلى أمهات المؤمنين بما عليهن من آداب في سورة الأحزاب من الآية ٢٨-٣٤**" بحث في مجلة العلوم العربية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ٢٠١٤م، وهي دراسة نظمية لبلاغة الخطاب الموجه لأمهات المؤمنين في ضوء السورة الكريمة ممن خلال الوقوف على بعض اللطائف والأسرار البلاغية.

منهج البحث:

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، من خلال تتبع الآيات القرآنية في سورة الأحزاب والتي اعتنت بموضوع الجناب النبوي اعتناءً كبيرًا فاق كل سور القرآن الكريم، وتقسيمها إلى مباحث ومطالب بحسب طبيعة الموضوع وتقييده بالسورة الكريمة فقط، وفي الحقيقة مسألة الفصل بين آيات القرآن من جهة الموضوعات دقيقة جدا؛ فللقرآن الكريم طريقة فريدة في سرد الموضوعات، فنجد في الآية الواحدة عدة موضوعات وأحكام، فقمت بفرز الآيات من باب سددوا وقاربوا، ثم تقسيم تلك الموضوعات إلى عناوين من خلال البحث في كتب التفاسير، وانتقاء الأقوال واللطائف التي تنوه على رفعة المنزلة والمكانة السامية لهذا الجناب النبوي المعظم، ثم الاهتمام بالشبهات الواردة في هذا الشأن بالحجة والبرهان دفاعًا عن الجناب المحمدي طمعًا في المعية والقبول.

كما تتبعت الخطوات التالية في عملية البحث:

أولًا: جمع الآيات القرآنية في سورة الأحزاب المتعلقة بتعظيم الجناب النبوي ووضع عنوان مناسب لها.

ثانيًا: بيان معاني الكلمات التي تحتاج إلى توضيح في ظل الآيات المذكورة وأوجه المناسبات.

ثالثًا: تفسير الآيات وبيانها قدر الطاقة.

رابعًا: الرد على الشبهات التي أثارها الطاعنون في سنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى في ضوء السورة الكريمة.

خامسًا: عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان رقم الآية.

سادسًا: تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصيلة والحكم عليها إن كانت في غير الصحيحين.

سابعًا: توثيق النصوص من مصادرها.

وتم تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في البحث.

التمهيد، وفيه:

أولًا: التعريف بمصطلحات البحث كلمة الجناب النبوي، الدراسة الموضوعية.

ثانيًا: نبذة عن سورة الأحزاب.

المبحث الأول: مظاهر تعظيم الجناب النبوي في ضوء السورة الكريمة، ويتمثل في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نداءات الله تعالى لنبيه في السورة الكريمة ودلالاتها الخاصة.

المطلب الثاني: ولاية النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على المؤمنين، وتفضيله على سائر الأنبياء، وجوب الاقتداء والتأسي به رجاء الله واليوم الآخر.

المطلب الثالث: فضل الصلاة والسلام على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمر المسلمين بها، وتحريم إيذائه أو إيذاء أحد من آل بيته الكرام.

المبحث الثاني: الرد على الشبهات المثارة حول جنابه المعظم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى من خلال السورة الكريمة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول: في قصة زواجه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من السيدة زينب بنت جحش وإبطال عادة التبني.

المطلب الثاني: في مسألة تعدد زوجاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتحريم الله تعالى عليه النساء في قوله ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾ الأحزاب: ٥٢

المطلب الثالث: في تقديم لفظ السيادة قبل ذكر اسمه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومسألة الصلاة والسلام عليه بعد الآذان.

والمراجع والمصادر.

وفهرس الموضوعات.

التمهيد

أولاً: التعريف بمصطلحات البحث:

أصل كلمة الجناب في اللغة: قال القلقشندي [١]: وأصل الجناب في اللغة: الفناء أو ما قرب من محلّة القوم، ومنه قولهم: لذنا بجناب فلان، وفلان خصيب الجناب، فيعبّر عن الرجل بفنائه وما قرب من محلّته تعظيمًا له، ويجمع على أجنبة كمكان وأمكنة وعلى جنابات كجماد وجمادات [٢].

وفي الاصطلاح: هو لقب احترام وتشريف يُستعمل في المراسلة أو المخاطبة بمعنى: صاحب السيادة، وصاحب السعادة والفخامة والسمو يقال: كتب رسالة إلى جنابه الكريم أي: إلى حضرته وفخامته [٣].

وكلمة النبوة: لها اشتقاقان:

أحدهما من النبأ وهو الخبر، وذلك لمن اصطفي من البشر لرتبة السماع والإنباء فنبئ ونبأ غيره، والاشتقاق.

الثاني من النبوة وهي الارتفاع والعلو، لأنه مرفوع الرتبة؛ فإنه ما من نبي إلا وهو أفضل

---

(١) أحمد بن علي بن أحمد الفزاريّ القلقشندي ثم القاهري المؤرخ الأديب البحاثة، نشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة، وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء، من تصانيفه (صبح الأعشى في قوانين الإنشا - ط) أربعة عشر مجلدا، وله (حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم - خ) و (قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان - ط) وغيرها توفي ٨٢١هـ ينظر: الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار/ مايو ٢٠٠٢ م (١٧٧/١).

(٢) ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت (٤٦٤/٥).

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة مادة (ج ن ب) المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م (٤٠١/١).

من أمته، أو رافع رتبة من اتبعه، والنبي هو الطريق؛ لأنها طريق موصلة إلى الله تعالى [١]، فهو -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- مخبر عن الله -عَزَّوَجَلَّ-، رفيع القدر عنده، فاجتمع له الوصفان، وتم له الشرفان[٢].

النبي اصطلاحًا: إنسان ذكر حر من بني آدم سليم عن منفر طبعًا، أوحي إليه بشرع يعمل به وأن لم يؤمر بتبليغه وأما الرسول فيعرف بما ذكر مع زيادة "وأمر بتبليغه " فبينهما العموم والخصوص المطلق؛ لأن كل رسول نبي ولا عكس [٣].

تعريف التفسير الموضوعي: هو بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها، مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم بكل أطرافه وإن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحًا وبيانًا [٤].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة باب النون والباء وما يثلثهما مادة (نبو) المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (٣٨٤/٥ -٣٨٥)، لسان العرب فصل النون مادة ظظظظظ (نبأ) المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ فصل النون الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ) (١٦٢/١)،

(٢) أحكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٥٨١/٣)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. (٢٧٥/١٥).

(٣) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري المتوفى (١٢٧٦هـ) تحقيق أ.د علي جمعة مفتي الديار المصرية سابقًا ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

(٤) ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم تأليف الدكتور أحمد السيد الكومي أستاذ التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة والدكتور محمد أحمد يوسف القاسم رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ص ١٦-١٧.

ثانيًا: الحديث عن سورة الأحزاب:

سورة الأحزاب: هي السورة الثالثة والثلاثون في ترتيب المصحف وهي من السور المدنية، وكان نزولها بعد سورة آل عمران، أي: أنها من أوائل السور المدنية، إذ لم يسبقها في النزول بعد الهجرة سوى سور: البقرة والأنفال وآل عمران، وقد ورد تسمية السورة بهذا الاسم في بعض الآثار فعن زر بن حبيش[١] [٢]، عن أبي بن كعب [٣]-

(١) زر بن حبيش بكسر الزاي وضم الحاء المهملة - أبو مريم- مشهور من كبار التابعين وقيل: أبو مطرف، بن حباشة بضم الحاء المهملة أيضًا بن أوس بن بلال بن جعالة بن نصر بن غاضرة الأسدي ثم الغاضري، روى عن عمر، وعثمان، وعلي، وأبي ذر، وابن مسعود، قال عاصم: كان من أعرب الناس وكان فاضلا عالما بالقرآن، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية توفي سنة ٨١ هـ ينظر: أسد الغابة المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية - الطبعة: الأولى -سنة النشر: ١٤١٥هـ- ١٩٩٤ م (٣١٢/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ (٥٣٢/٢)، تهذيب الأسماء واللغات المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (١٩٦/١).

(٢) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (٢٤٦/٢١).

(٣) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار يكنى أبي بن كعب أبا الطفيل بابنه، وأبا المنذر، شهد أبي بن كعب العقبة الثانية، وبايع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيها، ثم شهد بدرا، وكان أحد فقهاء الصحابة وأقرأهم لكتاب الله، روي عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: أقرأ أمتي أبي، وكان من كتاب الوحي وممن جمع القرآن و قيل: إنه مات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ(المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (٦٩/١)، سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ .(المحقق: مجموعة من
=

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قال: " كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة وكان فيها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم[١] "

وعن حارثة بن مضرب[٢] قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- "أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور" [٣][٤].

وهذه التسمية هي المثبتة في المصاحف وكتب التفسير، ولا يعرف لها اسم آخر.

= المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة -الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م (٣٩٠/١-٣٩١).

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده مسند الأنصار حديث زر بن حبيش وأبي بن كعب (١٣٥/٣٥) برقم٢١٢٠٨ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط إسناده ضعيف، عاصم بن بهدلة -وإن كان صدوقا- له أوهام بسبب سوء حفظه، فلا يحتمل تفرده بمثل هذا المتن. وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير خلف بن هشام، فمن رجال مسلم، وأخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير باب تفسير سورة الأحزاب (٤٥٠/٢) برقم ٣٥٥٤ وقال الإمام الذهبي: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الحدود (باب ما يستدل به على أن السبيل هو جلد الزانيين ورجم الثيب) (٣٦٧/٨) برقم ١٦٩١١ وهو ضعيف.

(٢) حارثة بن مضرب بضم الميم، وفتح الضاد المعجمة، وكسر الراء، العبدي الكوفي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فيما قيل، روى عن عمر وعلي وابن مسعود وحباب بن الأرت وسلمان الفارسي وأبي موسى وعمار بن ياسر وغيرهم قال عنه أحمد حسن الحديث، وقال عثمان الدارمي عن بن معين ثقة ينظر: أسد الغابة ط العلمية (٦٥٥/١)، تهذيب التهذيب (١٦٧/٢)، تهذيب الأسماء واللغات (١٥١/١).

(٣) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت (١٢٤/٦)، وأبو عبيد في فضائله عن حارثة بن مضرب (٢٣٨/١) ينظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين -الناشر: دار ابن كثير (دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ وهو ضعيف.

(٤) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م (١٥٨/١٢).

وجه التسمية:

سميت هذه السورة الكريمة باسم غزوة الأحزاب، وهي غزوة الخندق أيضًا، ولكن اشتهرت بالأحزاب وتسمت بها؛ لأن قصتها معجزة لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ففيها ذكر تجمع المشركين من قريش ومن تحزب معهم حيث اجتمع كفار مكة مع غطفان وبني قريظة وجميع قبائل العرب على حرب المسلمين في المدينة فرد الله كيدهم وكفى الله المؤمنين القتال، وقد كانت هذه الغزوة جديرة باسم غزوة الإعجاز الكوني والمعجزات الحسية والعقلية فهي غزوة جامعة لدروس الكفاح المرير، والنضال الخطير، والصبر على تقلبات الحياة ومحنها، إلى جانب ما اشتملت عليه من فضل الله بإمداده لنبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنفحات المنن الكونية التي أنزلها حين استحكمت الخطوب، وتدافعت الكروب، ففرج الله بها مضائق البلاء والمحن، ونصره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالريح والملائكة وكفى الله المؤمنين القتال، وقد ميز بهم بين المؤمنين والمنافقين، وختمها بتلطفه الذي مسح به عن صدور المؤمنين، وأنقذهم من هذه المحنة، وجعلهم أرسخ إيمانًا، وأعمق يقينًا، وأخلص نيات وهم ينظرون إلى المستقبل بقلوب مشرقة وأفئدة منيرة يرجون تحقيق وعد الله على لسان نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه الغزوة "الآن نغزوهم ولا يغزونا" (١)(٢)

وهي مدنية بالاتفاق، ومن تأمل في آياتها جزم بأن السورة مدنية؛ حيث جاء الحديث فيها عن غزوة الأحزاب التي وقعت في السنة الخامسة من الهجرة، وفيها حديث عن المنافقين، وإيذائهم للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها، وتحدثت عن بعض التشريعات المتعلقة بسيدنا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (٣) (٤).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (١١٠/٥) برقم ٤١٠٩.

(٢) محمد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منهج ورسالة – بحث وتحقيق بقلم محمد الصادق إبراهيم عرجون –دار القلم –دمشق – الطبعة الرابعة ١٤٤٠هـ-٢٠١٩ (٢٠٢/٤).

(٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة -عام النشر: ١٢٨٥ هـ (٢١٧/٣).

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة =

عدد آياتها: وهي ثلاث وسبعون آية، وألف ومائتان وثمانون كلمة، وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفًا [١].

مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

وجه اتصال هذه السورة بما قبلها وهي سورة السجدة تشابه مطلع هذه السورة ومقطع سورة السجدة، فإن سورة السجدة ختمت بأمر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ السجدة: ٣٠.

وهذه السورة بدأت بأمره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالتقوى والإعراض عن الكافرين والمنافقين وعدم طاعتهم فقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ الأحزاب: ١، ولما تحصل من السورتين قبل ما يَعقب العالِمَ من الخوف أشده لغيبة العلم بالخواتم، وما جرى في السورتين من الإشارة إلى السوابق "﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ السجدة: ١٣

كان ذلك مظنة لتيئيس نبي الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصالحي أتباعه، فلهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس والبشارة ما يجرى على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه بالتقوى وإعلامه بما قد أعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة، وإن ورد على طريقة الأمر ليشعره باستقامة سبيله وإيضاح دليله[٢]، وأما مناسبتها للسورة التي بعدها وهي سورة سبأ فإنها لما ختمت

=
والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى (١٦٣/١١).

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ (٤٤٣/٥).

(٢) ينظر: البرهان فى تناسب سور القرآن المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ) تحقيق: محمد شعباني - دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م (٢٨٠/١)، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث
=

سورة الأحزاب بأنه عرض أداء الأمانة وحملها – وهي جميع مافي الوجود من المنافع – على السماوات والأرض والجبال، فأشفقن منها وحملها الإنسان الذي هو الإنس والجان، وأن نتيجة العرض والأداء والحمل العذاب والثواب، فعلم أن الكل ملكه وفي ملكه خائفون من عظمته، مشفقون من قهر سطوته، وقاهر جبروته، وأنه المالك التام والملك المطاع المتصرف في كل شيء من غير دفاع، وختم ذلك بصفتي المغفرة والرحمة، ولما كان حاصل سورة الأحزاب رحمةً ولطفًا ونعمةً لا يقدر عظيم قدرها وينقطع العالم دون الوفاء بشكرها أعقب بما ينبغي من الحمد (يعني أول سبأ) [(١)].

مقاصد وأغراض السورة الكريمة

تعددت أغراض ومقاصد تلك السورة الكريمة؛ ولكن يمكن حصرها فيما يلي:

أولًا: الإشارة إلى مكانة وعظم قدر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من خلال نداء الله تعالى له بوصفه بالنبوة خمس مرات، وهذا يستدعي ملازمة الأدب مع حضرة الجناب النبوي في تقديم لفظ السيادة قبل اسمه دائمًا.

ثانيًا: دعت السوة المؤمنين إلى إبطال عادة التبني التي كانت في الجاهلية وتحريم انتساب أحد إلى غير أبيه ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الأحزاب: ٥.

ثالثًا: وصفت السورة الكريمة النبي الكريم ببعض الأوصاف والألقاب التي ميزه الله تعالى بها منها الولاية ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الأحزاب: ٦، كما جعلته في مقدمة أولي العزم من الرسل لحظة أخذ الميثاق على عموم رسالته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ووجوب الإيمان به.

=
في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ(قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ ص ١١٢.

(١)"ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن للغرناطي (٢٨٣/١)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ(الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (٤٢٨/١٥) باختصار.

رابعًا: الحديث عن غزوة الأحزاب وكيفية نصر الله تعالى المؤمنين على كل من تحزب عليهم دون قتال؛ بل كله بعناية الله ولطفه وكشفت السورة عن بعض الملابسات التي حدثت في هذه الغزوة من الحديث عن المنافقين الذين كانوا يدعون أنهم لن يستطيعوا الخروج مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بحجة واهية وهي: أن بيوتهم في حاجة إليهم وفي الحقيقة لا يريدون إلا الفرار والهروب من المعركة.

خامسًا: كشفت السورة الكريمة عن أهمية القدوة في حياة كل مسلم وخير قدوة ومثال للشخصية الكاملة هو سيد البشر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمن كان يرجو رضا الله تعالى واليوم الأخر فليتأس بالحبيب -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا ما فعله الصحابة في غزوة الأحزاب.

سادسًا: تحدثت السورة الكريمة عن مكانة أمهات المؤمنين وأهل البيت جميعا وأن حسناتهم مضاعفة وكذا عقوبتهم كذلك، وتطرقت السورة إلى مايتعلق ببعض الأحكام الخاصة بالرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقصة زواجه بالسيدة زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- وأن زواجه منها كان لحكمة إبطال عادة التبني، ثم الحديث عن طلاق النساء في حال عدم الدخول بهن وأحكام خاصة به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من تحليل الله تعالى له بعض النسوة خصوصية لجنابه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم التحريم له بعد ذلك أن يطلق أو يفارق أي واحدة من نسائه، أو أن يتزوج غيرهن إكرامًا ومكافئة من الله لهن على موقف التخيير.

سابعا: بينت السورة الكريمة بعض أوصاف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنه رسول الله وأنه خاتم النبيين وأنه الشاهد والمبشر والنذير، والداعي إلى الله بإذنه ووصفته بالسراج المنير.

ثامنًا: انتقلت السورة إلى الحديث عن بعض الأداب الاجتماعية من ضرورة الاستئذان قبل الدخول ولا يجوز إيذاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في التضييق عليه في بيته دون مراعاة لحيائه الذي منعه لأن يظهر شعوره أو يفصح به لأي أحد فتولى الله ذلك بنفسه ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الأحزاب:

٥٣ فلا بد من صون حرمات النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ الأحزاب: ٥٣.

تاسعا: فضل الصلاة على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنها واجبة على كل مسلم وتحريم إيذاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى والا يكون المؤمنون كاتباع سيدنا موسى الذين آذوه ولكن الله برأه مما قالوه عنه واتهموه به.

عاشرا: تحدثت السورة عن بعض السنن الإلهية في هذه السورة الكريمة والأمر بتقوى الله تعالى فهي زاد كل مؤمن ومؤمنة في تحمل ما أسند إليه من مهام وتكاليف نسأل الله أن يتوب علينا جميعا ويعيننا على تحمل تلك الأمانة [١].

(١) تفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م) (٨/ ١٢٦).

المبحث الأول

مظاهر تعظيم الجناب النبوي في ضوء السورة الكريمة

مما لا شك فيه أن الوحدة الموضوعية لسورة الأحزاب ترتكز على محور واحد تخدمه وتحيط به، وبالقراءة المتدبرة في آيات هذه السورة الكريمة يلاحظ المتأمل فيها أن موضوعها الرئيس هو النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتعظيم قدره الشريف، وجنابه المنيف من جوانب عديدة، فلا تخلو آية في الأغلب في هذه السورة الكريمة إلا وفيها ذكر للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سواء بصريح العبارة أو بالإشارة، وها نحن نجمل في هذا المبحث مظاهر التعظيم والتكريم للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بداية من ندائه في أول السورة بمقام الرفعة والعظمة وهو النبوة، مرورًا بأوصافه الكريمة الخاصة به وحده صلوات ربي وسلامه عليه، وانتهاء بنص الله تعالى ووعده بالثواب الجزيل والفوز العظيم لمن أطاع الله ورسوله قال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ الأحزاب: ٧١

وتتمثل مظاهر هذا التعظيم في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

نداءات الله تعالى لنبيه في ضوء السورة الكريمة ودلالاتها الخاصة في كل مرة

لقد ورد وصف نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالنبوة في القرآن الكريم ثمان وعشرين مرة، منها اثنتا عشرة مرة في سورة الأحزاب، وأما نداؤه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوصف النبوة فقد ورد في القرآن ثلاث عشرة مرة، خمس منها في سورة الأحزاب جاءت لأغراض متنوعة تتعلق بالتشريع بعضها خاص بالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبعضها عام يتعلق به وبغيره، ولا شك أن افتتاح السورة بخطاب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إشارة إلى أن الأهم من سياق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن الهدف الأساس منها هو بيان واجبات رسالة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتأديتها على أكمل وجه [١] وتتمثل نداءات النبوة الخمس في السورة الكريمة فيما يلي:

النداء الأول: تحديد واجبات رسالته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تجاه ربه في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ الأحزاب: ١

سبب نزول الآية الكريمة:

قيل: نزلت هذه الآية في بعض المشركين والمنافقين الذين قدموا المدينة بعد غزوة أحد، وقد أعطاهم النبي الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الأمان على أن يكلموه، فقالوا للنبي - -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قولهم، فقال عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- إئذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عمر أن يخرجهم

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (٢٤٩/٢١).

من المدينة، فأنزل الله -عَزَّوَجَلَّ- هذه الآية[١][٢]

توجيه نداءه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمقام النبوة:

افتتح الله السورة الكريمة بنداء نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوصف النبوة دون اسمه العلم تشريفًا له بفضل هذا الوصف ليربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره، فناداه بوصفه دون اسمه تعظيمًا له فإنّ مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق بخلاف الأخبار، ولذلك لم يناد في القرآن بغير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ التحريم: ١ و﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ المائدة: ٦٧بخلاف الإخبار عنه فقد يجيء بهذا الوصف كما جاء في ثنايا هذه السورة قوله ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ الأحزاب: ٦، ويجيء باسمه العلم كما في قوله ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الأحزاب: ٤٠ وتلك مقامات يقصد فيها تعليم الناس بأن صاحب ذلك الاسم هو رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أو تلقين لهم بأن يسموه بذلك، وأمره بما ذكر تفخيمًا وتعظيمًا للتقوى نفسها حيث أمر بها مثله فإنّ مراتبها لا تتناهى، ولما ناداه سبحانه بهذا الاسم الشريف المقتضي للانبساط، أمره بالخوف فقال: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: زد من التقوى بأعلى الخلائق بمقدار ما تقدر عليه لذي الجلال كله والإكرام؛ لئلا تلتفت إلى شيء سواه، فإنه أهل لأن يرهب لما له من خلال الجلال، والعظمة والكمال، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالتقوى، وإعلامه بما قد أعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة وإن ورد على طريقة الأمر ليشعره باستقامة سبيله، وإيضاح دليله، وخاطبه بلفظ النبوة لأنه أمر عقب تخويف وإنذار وإن كان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- قد نزه الله قدره على أن يكون

---

(١) أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م (١/٣٥١).

(٢) وهذا السبب ضعيف سندا ومتنًا، أما من ناحية السند: فذكرت بلا إسناد وأما من ناحية المتن: فإن العداء الشديد في هذا التوقيت الذي قدم فيه هؤلاء الكافرين والمنافقين وحدوث ما نقل في الرواية مستبعد وغريب جدًا وكيف يسمح الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بقولهم هذا، وهو أتقى الخلق وأعبدهم فلا شك أنها مردودة.

منه خلاف التقوى، وعصمه من كل ما ينافر نزاهة حاله ورفعة منصبه ومنزلته، فالأمر بالتقوى بالنسبة للجناب النبوي معناه استدامة الحضور؛ فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته، حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه تركًا للأفضل، فكان له في كل ساعة تقوى متجددة؛ لأنه طلب من ربه بأمر الله إياه به زيادة العلم حيث قال﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤ بقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنه ليغان [(١)] على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[(٢)] يعني: يتجدد له مقام يقول الذي أتيت به من الشكر والعبادة لم يكن شيئا، إذ هو غين أنوار لا غين أغيار[(٣)] [(٤)].

---

(١) الغين لغة: الغيم وغينت السماء بالبناء للمفعول غطيت بالغين، وفي الحديث "ليغان على قلبي" كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية فإنها وإن كانت مهمة فهي في مقابلة الأمور الأخروية كاللهو عند أهل المراقبة ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الغين مع الياء وما يثلثها (غ ي ن) المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت (٤٦٠/٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٠٧٥/٤) برقم ٢٧٠٢.

(٣) قال المناوي: هذه مقولة العارف الشاذلي: هذا غين أنوار لا غين أغيار لأنه كان دائم الترقي فكلما توالت أنوار المعارف على قلبه ارتقى إلى رتبة أعلى منها فيعد ما قبلها كالذنب أي: فليس ذلك الغين غين حجاب ولا غفلة كما وهم وإنما كان تستغرقه أنوار التجليات فيغيب بذلك الحضور ثم يسأل الله المغفرة أي: ستر ما له عليه لأن الخواص لو دام لهم التجلي لتلاشوا عند سلطان الحقيقة، فالستر لهم رحمة وللعامة حجاب ونقمة ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ (١١/٣).

(٤) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان - الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة - الطبعة: ١٤١٩ هـ (٣٨٥/٣)، نظم الدرر في تناسب السور للبقاعي (٢٧٧/١٥)، حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ(دار النشر: دار صادر – بيروت (١٥٥/٧).

النداء الثاني: فيما يخص مقام أزواجه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واقتراب مقامهن من مقامه الشريف -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ الأحزاب: ٢٨

هذه الآية أمر رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بتلاوتها على زوجاته وتخييرهن بين الدنيا والآخرة فاخترنه، فبدأ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالسيدة عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فقال لها " يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك " قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها هذه الآية قالت: أفيك أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة[(١)]، ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر الله لهن ذلك **فأنزل:** ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ الأحزاب: ٥٢ [(٢)] [(٣)] وافتتحت هذه الآية بوصف النبوة تشريفا وتكريما له -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ووجه ارتباط النداء في هذه الآية بالنداء الأول الذي افتتحت به السورة الكريمة: أن فضائل الأخلاق تنحصر في شيئين عظيمين الأول: التعظيم لأمر الله -عَزَّوَجَلَّ- وهو المتمثل في النداء الأول والثاني الشفقة على الخلق، وقد بدأ فيه بالزوجات فإنهن أولى الناس بالشفقة فجاءت الآية الكريمة تبين عظمة من اختارهن المولى -جَلَّ جَلَالُهُ- بأن يكن نسوة لخير مخلوق في هذا الوجود وأعطاه الله تعالى سلطة التخيير فخيرهن بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾ (١١٧/٦) برقم ٤٧٨٥، ومسلم في صحيحه كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية (١١٠٣/٢) برقم ١٤٧٥.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ (٣٨٠/٤).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٢٣٠/٤).

عنده من ضيق الحال ولهن عند الله في هذا الثواب العظيم فوفقهن الله تعالى وعصمهن من الوقوع في الزلل وأعلى مقامهن للقرب من الجناب المعظم [١].

النداء الثالث: تحديد المهام وأوصاف رسالته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٧

هذه الآية فيها تأنيس للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم، وهذه الآية تضمنت من أسمائه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ستة أسماء ولنبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أسماء كثيرة وسمات جليلة ورد ذكرها في الكتب المتقدمة.

ووجه الخطاب للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه بين في النداء الأول ما يجب عليه تجاه ربه، وفي النداء الثاني ما يجب عليه مع زوجاته، وفي الثالث تحديد مهامه مع عامة الخلق فناداه بلقب التشريف والتعظيم للنبي فتتمثل صفاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذه الآية بجانب النبوة والرسالة في أربع صفات:

الصفة الأولى: كونه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاهدًا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ الأحزاب: ٤٥ وقال تعالى في سورة الفتح ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨﴾ الفتح:٨ ﴿شَاهِدًا﴾ يحتمل وجوها:

أحدهما: أنه شاهد على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ البقرة: ١٤٣ وعلى هذا فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعث شاهدا أي: متحملا للشهادة ويكون في الآخرة شهيدا أي مؤديا لما تحمله وفي قوله ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ أي: على أمتك بالبلاغ[٢].

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٢٠٥/٢٥)

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ -
=

فوصف رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأنه شهيد عليهم حيث بلغهم البلاغ المبين، وكان لهم إمامًا وقدوةً ومثلًا في الوسطية، فإن ساروا عليها كانت شهادته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تزكية لهم، وإعلانًا بعدالتهم، وإن حادوا عنها شهد عليهم بأنهم ليسوا من أمته، فخرجوا من الوسطية إلى الانحراف [١].

ثانيها: أنه شاهد أن لا إله إلا الله، وعلى هذا لطيفة وهو: أن الله جعل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيًا فالله تعالى لم يجعل النبي في مسألة الوحدانية مدعيًا لها؛ لأن المدعي من يقول شيئا على خلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس والنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان ادعى النبوة فجعل الله نفسه شاهدًا له في مجازاة كونه شاهدًا لله فقال تعالى﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ المنافقون: ١ [٢].

وثالثها: أنه شاهد في الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد، فوصف الشاهد أشمل هذه الأوصاف للرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوصف كونه رسولًا لهذه الأمة، وبوصف كونه خاتمًا للشرائع ومتممًا لمراد الله من بعثة الرسل [٣]، إن النفوس تتهالك على مثل هذا الشاهد الذي جاء وحيدًا بالشهادة في هذه الدنيا وارتحل منها وحوله جم غفير، وجمع حاشد من الشهداء على الناس، والحقيقة أن الله وصف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالشاهد والشهيد فاطلع الدنيا كلها على ميزة سامية

١٩٩٢ م (١٠٦/١١).

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ (٢٣٥/١)، البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ (٣٦٦/١).

(٢) تفسير الرازي (١٧٣/٢٥).

(٣) التحرير والتنوير (٥٢/٢٢).

للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ألا وهي الشهادة [١].

الصفة الثانية: كونه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مبشرًا ونذيرًا

قال تعالى ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ فقوله ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ معناه للمؤمنين، برحمة الله تعالى وبما ينتظر العاملين من غفران وفضل وتكريم في الجنة، وروي عن أبي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: هذه من أرجى آية عندي في كتاب الله تعالى؛ لأن الله تعالى أمر نبيه أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلًا كبيرًا، وقد بين تعالى الفضل الكبير ما هو في قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٢٢﴾ الشورى:٢٢ وقيل: المعنى فضلًا على سائر الأمم في الرتبة والشرف، أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان، فالآية التي في هذه السورة خبر والتي في سورة الشورى تفسير لها [٢].

وقوله تعالى ﴿وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾: من الإنذار بمعنى التخويف والتحذير وهو: الإخبار بحلول حادث مسيء أو قرب حلوله، والنبي عليه الصلاة والسلام منذر للذين يخالفون عن دينه من كافرين به ومن أهل العصيان فلا يؤخذوا على غرة، ولا يعذبوا إلا بعد إنذار كما قال تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ۝١٥﴾ الإسراء: ١٥

وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: " أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ الأحزاب: ٤٥، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها

---

(١) رحمة للعالمين المؤلف: محمد سليمان المنصور فوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ) ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الأولى (٥٥٢/١-٥٥٣).

(٢) المحرر الوجيز (٢٨٩/٤-٢٩٠)، التحرير والتنوير (٥٣/٢٢).

أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا "[١].

وقدمت البشارة على النذارة لأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غلب عليه التبشير؛ لأنه رحمة للعالمين، ولكثرة عدد المؤمنين في أمته.

الصفة الثالثة الداعي إلى الله :

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى توحيده وطاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: بأمره لا أنك فعلته من تلقاء نفسك ﴿وَدَاعِيًا﴾ فيه ترتيب حسن وذلك من حيث إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرسل شاهدًا بقوله لا إله إلا الله ويرغب في ذلك بالبشارة، فإن لم يكف ذلك يرهب بالإنذار ثم لا يكتفي بقولهم لا إله إلا الله بل يدعوهم إلى سبيل الله كما قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥ وقيد به الدعوة في قوله ﴿بِإِذْنِهِ﴾ إيذانًا بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه[٢] وكيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة [٣] فهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك فلم يقل وشاهدًا بإذنه ومبشرًا وعند الدعاء قال وداعيا بإذنه؛ وذلك لأن من يقول عن ملك إنه ملك الدنيا لا غيره لا يحتاج فيه إلى إذن منه فإنه وصفه بما فيه، وكذلك إذا قال من يطيعه يسعد،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ الأحزاب: ٤٥ (١٣٥/٦) برقم ٤٨٣٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م. (٢٠١/١٤)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٢٣٤/٤).

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (١٠٨/٧).

ومن يعصه يشقى يكون مبشرا ونذيرا ولا يحتاج إلى إذن من الملك في ذلك، وأما إذا قال تعالوا إلى ساحته واعبدوه يحتاج فيه إلى إذنه فقال ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [١]، وزيد وصف كونه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- داعيا إلى الله في هذه الآية بخلاف سورة الفتح اقتصرعلى كونه شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا؛ لأن الآيات التي معنا وردت في سياق تنزيه النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن مطاعن المنافقين والكافرين في تزوجه زينب بنت جحش -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- بعد أن طلقها زيد بن حارثة بزعمهم أنها زوجة ابنه، فناسب أن يزاد في صفاته ما فيه إشارة إلى التمحيص بين ما هو من صفات الكمال وما هو من الأوهام الناشئة عن مزاعم كاذبة مثل التبني، فزيد كونه داعيًا إلى الله بإذنه، أي لا يتبع مزاعم الناس ورغباتهم بل هو انصياع لأمر الله تعالى ووصفه بأنه سراج منير يهتدي به من همته في الاهتداء دون التقعير بخلاف التي في سورة الفتح وردت في سياق إبطال شك الذين شكوا في أمر الصلح والذين كذبوا بوعد الفتح والنصر، والثناء على الذين اطمأنوا لذلك فاقتصر فيها على الأوصاف المذكورة [٢] ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: مضيئًا لامعًا والمعنى: أمرك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها وإضاءتها، لا يجحدها إلا معاند، ووصف سبحانه السراج بالإنارة، لأن من المصابيح ما لا يضيء إذا لم يوجد به ما يضيئه من زيت أو ما يشبهه.

قال صاحب الكشاف: جلى الله- تعالى- بنبيه -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ظلمات الشرك، فاهتدى به الضالون، كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به، أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر، كما يمد بنور السراج نور الأبصار، ووصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه - أي: زيته- ودقت فتيلته [٣].

ووصف الله الشمس بالسراج في سورة الفرقان ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم =ابن كثير المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ (٤٢٩/٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٥٧/٢٦)

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٥٤٧/٣).

الفرقان: ٦١ وفي سورة نوح وصف القمر بالنور والشمس بالسراج فقال ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ نوح: ١٦، وفي سورة النبأ وصفها بالسراج الوهاج فقال ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾ النبأ: ١٣، أما السراج المنير فلم يستعمل لأحد سوى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالشمس لا تنير في وقت واحد إلا وجهًا واحدًا من الكرة الأرضية، أما السراج المنير فقد بدد بأشعته في وقت واحد ظلمات الجاهلية، وغياهب الجهل، وسواد الكفر والشرك، وحلكة العادات والتقاليد الزائفة، وعتمة التقليد الأعمى، وملأ القلوب بنور الإيمان، وأفعمها بلمعات العقيدة السليمة، وأنار الأبصار بمطالعة الكتاب المبين، وأزال الشك المظلم بالأدلة الساطعة [١].

النداء الرابع: ما يتعلق بالأحكام الخاصة به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾ الأحزاب: ٥٠

لقد خص الله تعالى رسوله في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزية على الأمة وهبت له صلوات الله وسلامه عليه، ومرتبة خص بها وحده، ففرضت عليه أشياء ما فرضت على غيره، وحرمت عليه أفعال لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحلل لهم، منها متفق عليه ومختلف فيه، فمن جملة ما فرض عليه التهجد بالليل، فقيام الليل كان واجبًا عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أن مات وكذلك صلاتي الضحى والوتر، وقضاء دين من مات معسرًا، ومن جملة ما حرم عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نكاح الحرة الكتابية ونكاح الأمة، وحرم الله عليه أشياء لم يحرمها على

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (١١/ ٢٢٤).

غيره تنزيهًا له وتطهيرًا، فحرم الله عليه الكتابة وقول الشعر وتعليمه، وأحل له أشياء خاصة به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منها الوصال والزيادة على أربع نسوة، و النكاح بلفظ الهبة، والنكاح بغير ولي وبغير صداق وسقوط القسم بين الأزواج عنه [١].

ومن مظاهر تعظيم الجناب النبوي في هذه الآية الكريمة بعد ندائه بوصف النبوة التعبير بلفظ الإيمان في قوله ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً﴾ يدل على أن الكافرة لا تحل له، قال إمام الحرمين: وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه، قال ابن العربي: والصحيح عندي تحريمها عليه، وبهذا يتميز علينا، فإنه ما كان من جانب الفضائل والكرامة فحظه فيه أكثر، وما كان من جانب النقائص فجانبه عنها أطهر، فجوز لنا نكاح الحرائر الكتابيات، وقصر هو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لجلالته على المؤمنات، وإذا كان لا يحل له من لم تهاجر لنقصان فضل الهجرة فأحرى ألا تحل له الكافرة الكتابية لنقصان الكفر[٢].

وفي قوله ﴿ ٱلَّتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾ فيه: أن من لم يهاجر لم يكمل، ومن لم يكمل لم يصلح لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي كمل وشرف وعظم.

وهذا يدل على أن الآية مخصوصة برسول الله - -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- - ليست بعامة له ولأمته، كما قال بعضهم؛ لأن هذه الشروط تختص به، ولهذا المعنى نزلت الآية في أم هانئ بأنها لم تهاجر. [٣]

---

(١) تفسير القرطبي (٢١٠/١٤).

(٢) تفسير القرطبي (٢١٠/١٤).

(٣) أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاعتذرت إليه فعذرني فأنزل الله ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ إلى قوله ﴿ٱلَّتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء" وقال الترمذي هذا حديث حسن، لا أعرفه إلا من هذا الوجه من ينظر: سنن الترمذي (أبواب تفسير القرآن) باب: ومن سورة الأحزاب (٣٥٥/٥) برقم ٣٢١٤، والحاكم في مستدركه كتاب النكاح باب: وأما حديث سالم (٢٠٢/٢) وعلق الذهبي صحيح ولم يخرجاه برقم ٢٧٥٤، ينظر: لباب النقول في أسباب النزول المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان (١٦٠/١).

والتعبير بلفظ النبوة في قوله ﴿لِلنَّبِيِّ﴾ دون غيره ساعة وهب بعض النساء أنفسهن له -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيه إجلال للحبيب -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلم يكن الوهب لكونه يرغب في النساء ويحبهن بل الوهب لتنال شرف القرب من هذا الجناب المعظم والمقام الرفيع وهو مقام النبوة الفخمة.

ومن مظاهر تعظيم جنابه صلوات الله وسلامه عليه **التعبير بالإرادة** في قوله ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ أي إذا وهبت المرأة نفسها وقلبها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حلت له، وإن لم يقبلها لم يلزم ذلك، كما إذا وهبت لرجل شيئا فلا يجب عليه القبول، بيد أن من مكارم أخلاق نبينا أن يقبل من الواهب هبته ويرى الأكارم أن ردها هجنة في العادة، ووصمة على الواهب وأذية لقلبه، فبين الله ذلك في حق رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وجعله قرآنا يتلى، ليرفع عنه الحرج [١][٢].

ومن النكات اللطيفة في تعظيم هذا الجناب النبوي خصوصية ومزية الهبة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قوله ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالله تعالى نفى بهذه الألفاظ أن يتشارك أحد مع المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ أي: خاصة بك وحدك، قال الزجاج: وإنما قال: إن وهبت نفسها للنبي، ولم يقل: «لك»؛ لأنه لو قال: «لك»، جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما جاز في بنات العم وبنات العمات [٣] فهبة النساء أنفسهن خاصية ومزية للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا تجوز لغيره، فلا يجوز أن تهب المرأة نفسها لرجل **ووجه الخاصية**: أنها لو طلبت فرض المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك، فأما فيما بيننا فللمفوضة طلب المهر قبل الدخول، ومهر المثل بعد الدخول، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله ﴿لَّكَ﴾ ليخص

(١) أحكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. (٥٩٣/٣).

(٢) تفسير القرطبي (٢١٠/١٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٣٣/٤)، زاد المسير لابن الجوزي (٤٧٤/٣).

المخاطب وحده [١].

النداء الخامس: نداءه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بتبليغ نساءه وجميع المسلمات بفرضية الحجاب صونًا لهن من الإيذاء ومواطن الريبة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ الأحزاب: ٥٩

وهذا هو النداء الخامس للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بوصف النبوة تشريفًا له وإجلالا لقدره، وإشعارا أن ما بعده أمر عظيم من أمور الشريعة ينبغي الاهتمام به وتبليغه للأمة فبدأ بالأفضل الأزواج ثم البنات ثم عامة نساء المؤمنين.

قال الإمام الآلوسى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: روى عن غير واحد أنه كانت الحرة والأمة، تخرجان ليلًا لقضاء الحاجة في الغيطان وبين النخيل، من غير تمييز بين الحرائر والإماء، وكان في المدينة فساق يتعرضون للإماء، وربما تعرضوا للحرائر، فإذا قيل لهم قالوا: حسبناهن إماء، فأمرت الحرائر أن يخالفن الإماء في الزي والتستر فلا يطمع فيهن[٢].

قال أبو حيان --رَحِمَهُ اللَّهُ--: أي: ذلك أولى أن يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن لأن المرأة إذا كانت في غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فإنها مطموع فيها[٣].

(١) التسهيل لعلوم التنزيل المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ (١٥٥/٢).

(٢) ينظر: روح المعاني للآلوسي (٢٦٤/١١).

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٥٠٤/٨).

المطلب الثاني

ولايته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكل مؤمن وتفضيله على سائر الأنبياء

قال تعالى ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦﴾ الأحزاب: ٦

الولاية: معناها: التأييد والنصر والأحقية بالشيء والمتولي أمره وشأنه، والولي والوالي من أسمائه -عَزَّوَجَلَّ-، فهو مالك الأشياء جميعها، والولي المالك، والسيد، والمنعم، والمعتق، والناصر والمحب، والتابع، والجار [١].

وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها:

لما كانت الآية السابقة وهي قوله ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الأحزاب: ٥ تصرح بإبطال بنوة زيد بن حارثة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أثار هذا الأمر سؤالًا في نفوس الناس عن مدى صلة المؤمنين بنبيهم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهل هي علاقة الأجانب من المؤمنين بعضهم ببعض سواء؛ فلأجل تعليم المؤمنين حقوق النبي وحرمته جاءت هذه الآية مبينة أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم في كل شيء من أمور الدين والدنيا، وفي هذا منزلة عظيمة ومرتبة جليلة لحضرة الجناب النبوي في هذه السورة الكريمة[٢].

والمعنى: أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أولى بمنافع المؤمنين أو بمصالح المؤمنين، فهذا المضاف حذف لقصد تعميم كل شأن من شؤون المؤمنين الصالحة [٣]، وهذ الولاية توجب عليهم أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبذلوها دونه

---

(١) ينظر: لسان العرب (٤٠٩/١٥).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (٢٩٠/١٥).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٦٦/٢١)

ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووقاءه إذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصرفهم عنه؛ لأنّ كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه، فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمى بهم إلى الشقاوة وعذاب النار [١] أو هو أولى بهم، على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم، كقوله تعالى ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨ وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال «ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرؤا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيما مؤمن هلك وترك مالًا فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك دينًا أو ضياعًا فإليّ» [٢] وفي قراءة ابن مسعود - -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- – " النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم "، وهذه الأبوة أبوة دينية، وهو -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرأف بأمته من الوالد الشفيق بأولاده، وقد قال جل وعلا في رأفته ورحمته بهم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ التوبة: ١٢٨ وليست الأبوة أبوة نسب ; كما بينه تعالى بقوله﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الأحزاب: ٤٠ [٣]

وقال مجاهد: كل نبيّ فهو أبو أمّته، ولذلك صار المؤمنون إخوة لأنّ النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبوهم في الدين، فالرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مبعوث إلى الخلق بمنزلة الأمير المؤمر يعطي الإمارة والولاية والرعاية، فهو بمنزلة الراعي يرعى غنمه في مراعي تسمن

---

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ (٣ /٤٤٨)، (الكشاف ٥٢٣/٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الفرائض باب قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من ترك كلا أو ضياعا فإلي» برقم ٥٣٧١ (٦٧/٧) وفي باب ميراث الأسير (١٥٦/٨) وأخرجه الإمام مسلم باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) برقم ٨٦٧.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (٢٣٢/٦).

عليها ويوردهم صفو الماء، ويرتاد لهم في الصيف مشتاهم، وفي الشتاء، ومن كان أمير المؤمنين يحتاج إلى كنز عظيم، ومن ملك المشرق والمغرب احتاج إلى خزائن الأموال حتى يضبط بها ذلك الملك، فكذلك كل رسول بعث إلى قوم أعطي من كنز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرسالة، فالمرسل إلى قومه في ناحية من الأرض إنما يعطى من النبوة والكنوز على قدر ما يقوم به من شأن نبوته ورعاية قومه أوفرهم حظا من نور الله أوفرهم علما به وقدرة وجلاله وخطير منزلته وأوفرهم علما به أسرعهم إجابة لدعوته، وأبذلهم نفسا ومالًا كأبي بكر الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- (١).

ومما يؤكد التعظيم للجناب النبوي ما جاء بعدها من توقير زوجاته فقال ﴿وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ الأحزاب: ٦ تشبيه لهنّ بالأمهات في بعض الأحكام، وهو وجوب تعظيمهنّ واحترامهن، وتحريم نكاحهن كما قال الله تعالى: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ الأحزاب: ٥٣ فلا يحل لأحد أن يتزوج بواحدة منهن، كما لا يحل له أن يتزوج بأمه، فهذه الأمومة مختصة بتحريم النكاح لهن تحريمًا مؤبدًا، وبالتعظيم لجنابهن لا في النظر إليهن، والخلوة بهن فإنه حرام في حقهن (٢).

وهذه الآية أزال الله تعالى بها أحكامًا كانت في صدر الإسلام منها: أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان لا يصلي على ميت عليه دين، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك ما لا فلورثته فأيكم ترك دينا أو ضياعا فأنا مولاه) (٣).

ومنها: إبطال عادة التبني وكان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قد تبنى زيد بن حارثة مولاه لما

(١) نوادر الأصول في أحاديث الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ) المحقق: عبد الرحمن عميرة الناشر: دار الجيل – بيروت (١٢٩/٣-١٣٠)

(٢) فتح البيان (٤٧/١٦)، (زاد المسير ٣٤٤٨)، (الكشاف ٥٢٣/٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الفرائض باب قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «من ترك كلا أو ضياعا فإلي» برقم ٥٣٧١ (٦٧/٧) وفي باب ميراث الأسير (١٥٦/٨) وأخرجه الإمام مسلم باب تخفيف الصلاة والخطبة (٥٩٢/٢) برقم ٨٦٧.

اختاره على أبيه وأمه، فعلل سبحانه النهي فيه بالخصوص بقوله ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ دالًا على أن الأمر أعظم من ذلك ويترتب على هذه الولاية حقوق منها: وجوب التعظيم والإجلال لحضرته، وإيثار محبته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على كل شيء حتى النفس، روى البخاري عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه الآن، والله، لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الآن يا عمر» (١).

في شرف مقام النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في النبيين -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-

في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ الأحزاب: ٧ - ٨ لقد أشارت السورة الكريمة إلى رفعة مقام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بين النبيين في هاتين الآيتين وأخذ الميثاق الغليظ منهم، فالميثاق الأول هو النبوة والتبليغ، والميثاق الثاني الغليظ هو الإيمان بالنبي الخاتم ونصرته ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ آل عمران: ٨١

أي أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمدًا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويعلن -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن لا نبي بعده، وقدم نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الذكر لما روى قتادة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سئل عن قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ﴾ (٢) قال: (كنت أول النبيين في

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه باب كيف كانت يمين النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (١٢٩/٨) برقم ٦٦٣٢.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن =تفسير الطبري المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب =

الخلق وآخرهم في البعث) [١]، وقال مجاهد: هذا في ظهر آدم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ-، أخذ من النبيين عهودهم بتصديق بعضهم بعضًا واتباع بعضهم بعضا، وفي رواية أخرى عنه أنه أخذ الله تعالى ميثاقهم بتصديق بعضهم بعضا والإعلان بأن محمدًا رسول الله، وإعلان رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن لا نبي بعده ومن نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم، فتخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين اندراجًا بينًا للإيذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع، واشتهر أنهم هم أولو العزم من الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، وتقديم ذكر نبينا -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مع تأخر زمانه فيه من التشريف له، والتعظيم ما لا يخفى [٢].

وفي إخبار الحق -جَلَّ جَلَالُهُ- بذلك في القرآن خصوصية للنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإعلامًا لأمته؛ ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك ، فهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء، ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر هذا التعظيم للنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من ربه -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فإذا عرف ذلك فالنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو نبي الأنبياء، فجميع الأنبياء تحت لوائه وهو في الدنيا كذلك ليلة الإسراء والرسل على الحقيقة أتباعه فما تقدموه؛ بل عظموه وبجلوه بما علموه وشهدوه قال سبحانه ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ الفتح: ٨ – ٩، ولو كان المراد بوصف النبي في الآية بإيمان الأنبياء السابقين به صلوات ربي وسلامه عليه في قوله

الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (٢١٣/٢٠).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١٣/٢٠) من طريق يزيد عن قتادة، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١١٩/١) عن قتادة، وابن أبي شيبة في مصنفه بلفظ "بدء بي في الخير وكنت آخرهم في البعث" (٣٢٢/٦) برقم (٣١٧٦٢) ثلاثتهم عن قتادة مرسلا وقال ابن كثير في المرسل: هذا أثبت وأصح فالمرسل إسناده صحيح، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٤٢/١) برقم ٢٦٦٢، مسند الشاميين للطبراني (٣٤/٤) برقم ٢٦٢٦ عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة وهو مرسل بسند صحيح وهو صحيح لغيره وله شواهد أخرى جميعها حسنة فقوته.

(٢) ينظر: فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ (٣٠٤/٤).

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد؛ لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بد من خصوصية للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلامًا لأمته؛ ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك، منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد، إذ هي شيء واحد لا يتفاضل، وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات، والرتب، والألطاف، وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل، وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها، ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم وهم المذكورين في الآية الكريمة وقال: بعض أهل العلم: والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا، وذلك بثلاثة أحوال: أن تكون آياته ومعجزاته أبهر وأشهر، أو تكون أمته أزكى وأكبر، أو يكون في ذاته أفضل وأظهر، وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه، وتحف ولايته واختصاصه [(١)]

في شرف مقام أزواجه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

قوله تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ الأحزاب: ٣٢

أظهرت أمهات المؤمنين في موقف التخيير ما يدل على تقديرهن وحبهن للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فبدأت هذه الآيات بتجلية رفعة ومكانة زوجات النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من خلال ندائهن بنساء النبي لتفضيلهن على سائر نساء العالمين، وكونهن متفردات بهذا المكان فعليهن القيام بما تقتضيه تلك المكانة من وجوب التحلي بالتقوى، فالأمر ليس مقتصرًا على قرابتهن من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقط بل لا بد من القيام بحق هذه القرابة في ذات أنفسهن، وبالفعل تحقق لهن الكمال بالتقوى فقد خاطبهن الله تعالى بأنهن لسن كأحد من نساء عصرهن فما بعد فحصل لهن التفضيل على جميع النساء،

(١) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) الناشر: دار الفيحاء – عمان -الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ (١/ ٤٤١-٤٤٢).

إلا أنه يخرج من هذا العموم فاطمة بنت رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومريم ابنت عمران، وآسية امرأة فرعون لشهادة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكل واحدة منهن بأنها سيدة نساء عالمها، بل هن أفضل بشرط التقوى لما منحهن من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في لحفهن [١]، وقد تجلى هذا الشرف بذكر الوسائل التي تحفظهن صيانة لهن ولجناب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- باستخدام الله تعالى أسلوب الترهيب والترغيب فغلظ الله تعالى عليهن فعل الفاحشة فقال ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ٣٠﴾ الأحزاب: ٣٠ وقد بينت الشريعة في أكثر من موضع أنه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات، ولذلك ضوعف حد الحر على العبد والثيب على البكر، ولما كان أزوج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مهبط الوحي وفي منزل أوامر الله ونواهيه، قوي الأمر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن أكثر مما يلزم غيرهن، فضوعف لهن العذاب والأجر قال تعالى [٢]﴿* وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ الأحزاب: ٣١ فمضاعفة الله تعالى لأجر الواحدة منهن إذا عملت صالحًا وامتثلت للأمر فثوابها يضاعف مرتين فضلًا وكرمًا إلى تعظيم ذلك الأجر بأنه يناسب مقامها وإلى تشريفها بأنها مستحقة ذلك الأجر، وفي قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ الأحزاب: ٣٣ وإنما جيء بالضميرين بصيغة جمع المذكر ﴿لِيُذۡهِبَ﴾، ﴿وَيُطَهِّرَكُمۡ﴾ على طريقة التغليب لاعتبار النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هذا الخطاب؛ لأنه رب كل بيت من بيوتهن وهو حاضر هذا الخطاب إذ هو مبلغه، وفي هذا التغليب إيماء إلى أن هذا التطهير لهن لأجل مقام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لتكون قريناته مشابهات له في التزكية والكمال، كما قال الله تعالى ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ النور: ٢٦ يعني: أزواج النبي للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهو نظير قوله في قصة إبراهيم ﴿رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ﴾ هود: ٧٣ والمخاطب زوج إبراهيم عليها السلام وهو معها[٣]، وتتجلى عظمة

(١) ينظر: المحرر الوجيز (٣٨٢/٤).
(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٧٤/١٤).
(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٤/٢٢)

الجناب النبوي في تذكير الله تعالى بالمنة العظمى عليهن وهو ما ينزل على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الوحي ومنزل الحكمة، ومشرق النور، والهدى والإيمان التي تخرج منه في قوله وفعله وأخلاقه فقال تعالى ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ الأحزاب: ٣ فهو تذكير بما أنعم الله عليهن من حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثًا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ﴿ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن، أو يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح أن يكون أهل بيته [(١)].

في كونه –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الإنسان الكامل الذي يصلح للاقتداء والتأسي للوصول إلى الله تعالى.

مما لا شك فيه أن أسلوب التربية بالقدوة من أنجح الوسائل التي تؤثر في إعداد النشء وتكوين الأجيال؛ لأن القدوة هي الواقع الملموس الذي يدعو إلى الامتثال بالعمل قبل القول، ولذلك هي أكثر تأثيرًا من التربية النظرية، ولقد أعطى الإسلام جانب القدوة الحسنة اهتمامًا كبيرا فلم يقف الأمر عند إنزال الكتب على الرسل، والحديث عن قصصهم وعرض سيرتهم فقط، بل أمر باتباعهم والاقتداء بهم قال تعالى ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ الأنعام: ٩٠

ورسولنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعله الله أعظم أسوة، وأحسن قدوة في تاريخ البشرية؛ فقد ترجم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الشريعة إلى واقع ملموس بأفعاله وأخلاقه وتعاملاته وسيرته العطرة، ولو لم يكن سيدنا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نبيًا لكانت أخلاقه الإنسانية جاذبة للنفوس الكريمة! فأي شيء فيه لا يرضي الناس عنه؟ بل هو الإنسان الكامل والأسوة الحسنة وصدق الله ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ الأحزاب: ٢١ وهذه الآية وإن كانت عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فسببها خاصًا فهي عامة في كل شيء ومثلها ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٤/٢٣١).

﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ الحشر: ٧

وقوله ﴿أُسْوَةٌ﴾ الأسوة من الائتساء، كالقدوة من الاقتداء اسم يوضع موضع المصدر يقال: ائتسى فلان بفلان أي: اقتدى به، والأسوة والإسوة بالضم والكسر: القدوة والجمع أسى وإسى، ولي في فلان إسوة وأسوة، أي قدوة وائتمام [١]، وقد قرئ بهما وهما سبعيتان وهما أيضًا لغتان، ومعنى ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي: في أخلاقه وأفعاله قدوة حسنة، من حقها أن يؤتسى بها، فمنها ما سطر من خلال غزوة الأحزاب كثباته في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة، لا يخور في شديدة، فلا يجبن أبدًا؛ إذ لا يصح الجبن لمن صح اقتداؤه برسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لغاية قبحه، ولا يستكين لعظيمةٍ أو كبيرةٍ، وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي، ويهدّ الصياصي [٢]، وهو مع الضعف يصابر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي، ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء إلى الله تعالى وهو الرفيع الشأن، كان غيره أجدر فاقتدوا به اقتداءً حسنًا، ولا تتخلفوا عنه، إن كان ممن يتبع بإحسان ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي: رضوان الله ورحمته وثواب اليوم الآخر ونجاته فإنه يؤثرهما على الحياة الدنيا ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ أي وقرن بالرجاء ذكره تعالى بكثرة أي: ذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده، فأدرك مواطن السّعادة ومهاوي

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية فصل الألف مادة (أسا) (٢٢٦٨/٦)، وفصل القاف مادة (ق د ا) (٢٤٥٨/٦) المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) الصياصي: الحصون وكل ما يتحصن به، ومعنى الصياصي كل ما يمتنع به، والصياصي ههنا الحصون، وقيل القصور، والقصور قد يتحصن فيها، والصياصي قرون البقر والظباء وكل قرن صيصية، لأن ذوات القرون يتحصن بقرونها وتمتنع بها، وصيصة الديك شوكته لأنه يتحصن بها أيضا، ينظر: معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (٢٢٣/٤)، المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ (٥٠٠/١).

الشقاوة وعلم أن في الثبات على قتل العدوّ، تطهير الأرض من الفساد، وتزيينها بالحق والصلاح والسداد مما جزاؤه سعادة الدارين، والفوز بالحسنيين [١].

(١) ينظر: محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ (٥٩/٨) تفسير القرطبي (٦٦/١١) تفسير الماوردي = النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
(٣٨٧/٤) (تفسير البيضاوي ٣٢٨/٤) تفسير الآلوسي (١٦٥/١١).

المطلب الثالث

فضل الصلاة والسلام على النبي وأمر المسلمين بها وتحريم إيذائه أو إيذاء أحد من آل بيته الكرام

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ الأحزاب: ٥٦ من أعظم مظاهر عظمة جنابه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الآية التي شرف الله بها رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وأظهر بها منزلته عنده تعالى، أمره تعالى لأهل الإيمان بالصلاة والسلام على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ الأحزاب: ٥٦ فقد أخبر الله تعالى في أول هذه الآية أنه وملائكته يصلون على النبي، ثم أمرنا بعد ذلك بالصلاة والسلام عليه ليجتمع ثناء أهل العالمين العلوي والسفلي، وهذا التشريف الذي شرف الله به النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أجمع وأتم من تشريف سجود الملائكة لسيدنا آدم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بأمر الملائكة له بالسجود؛ لأن الله تعالى أخبر عن نفسه بالصلاة عليه، وتشريف يصدر عن الله تعالى أبلغ من تشريف يختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم، وقال ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: ﴿يُصَلُّونَ﴾ بمعنى: يبركون أي: يدعون له بالبركة [(١)]، وعبر بالنبي دون اسمه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-؛ إشعارًا بما اختص به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من مزيد الفخامة، والكرامة، وعلو القدر، وأكد ذلك الإشعار بأل التي للغلبة؛ إشارة إلى أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المعروف الحقيق بهذا الوصف، وقال بعض الأجلة: إن ذاك للإشعار بعلة الحكم، ولم يعبر بالرسول بدله؛ ليوافق ما قبله من قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ الأحزاب: ٥٣، وعبر بملائكته ولم يقل الملائكة؛ إشارة إلى عظيم قدرهم ومزيد شرفهم بإضافتهم إلى الله تعالى، وذلك مستلزم لتعظيمه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بما يصل إليه

(١) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (١٠٦/٨)، فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي (٥٢٠/٨).

منهم؛ حيث إن العظيم لا يصدر منه إلا عظيم، ثم فيه التنبيه على كثرتهم وأن الصلاة من هذا الجمع الكثير الذي لا يحيط بمنتهاه غير خالقه واصلة إليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على ممر الأيام والدهور مع تجددها كل وقت وحين، وهذا أبلغ تعظيم وأنهاه وأشمله وأكمله وأزكاه، ومعنى الصلاة من الله تعالى وملائكته عليهم السلام على نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على أقوال فقيل: هي منه -عَزَّوَجَلَّ- ثناؤه عليه عند ملائكته، وتعظيمه تعالى إياه في الدنيا بإعلاء ذكره كما قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ الشرح: ٤ وإظهار دينه، وإبقاء العمل بشريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وإجزال أجره ومثوبته، وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود، وتفسيرها بذلك لا ينافي عطف غيره كالآل والأصحاب عليه؛ لأن تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به، والصلاة من الملائكة الدعاء له -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وعن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك قد علمناه فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم»(١).

وقال الإمام الآلوسي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: إن الصحابة لما سمعوا الأمر بالصلاة بعد سماع أن الله -عَزَّوَجَلَّ- وملائكته عليهم السلام يصلون عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفهموا أن الصلاة منه -عَزَّوَجَلَّ- ومن ملائكته عليه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- نوع من تعظيم لائق بشأن ذلك النبي الكريم عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأكمل التسليم لم يدروا ما اللائق منهم من كيفيات تعظيم ذلك الجناب وسيد ذوي الألباب -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صلاةً وسلامًا يستغرقان الحساب فسألوا عن كيفية ذلك التعظيم فأرشدهم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلى ما علم أنه أولى أنواعه وهو بهم رؤوف رحيم فقال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «قولوا اللهم صل على محمد" إلى آخر ما في بعض الروايات الصحيحة، وفيه إيماء إلى أنكم عاجزون عن التعظيم اللائق بي فاطلبوه من الله -عَزَّوَجَلَّ- لي، من هنا يعلم أن الآتي بما أمر به من طلب الصلاة له -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- آت بأعظم أنواع التعظيم لتضمنه الإقرار بالعجز عن

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (٧٧/٨) برقم ٦٣٥٨.

التعظيم اللائق، وقد قيل ونسب إلى الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- العجز عن درك الإدراك إدراك[١]

ولإظهار تعظيم مقامه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أن الله تعالى أوجب علينا الصلاة عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذاكرًا نفسه ولا حاجة له إليه، وإنما هو لإظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه، ولهذا قال -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه عشرا» [٢]، فلم يترك الله النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- تحت منة أمته بالصلاة حتى عوضهم منه بأمره بالصلاة على الأمة حيث قال ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ التوبة: ١٠٣

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ أمر من الله -عَزَّوَجَلَّ-، ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا السلام عليك أيها النبي في التشهد [٣] وفيه نكتة سرّية وهي أن السلام معناه: تسليمه عما يؤذيه فلما جاءت هذه الآية عقيب ذكر ما يؤذي النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والأذية إنما هي من البشر، وقد صدرت منهم فناسب التخصيص بهم والتأكيد وإليه الإشارة بما ذكر بعده[٤] ، ومن اللافت للنظر أن هذا التكريم الإلهي جاء في نهاية السورة كتقدير وتحفيز للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إذ بدأت السورة بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ الأحزاب: ١، ثم انتصفت بقوله ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ الأحزاب: ٣٧،ثم اختتمت بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ﴾ الأحزاب: ٥٦ فتكريم الله لنبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء بعد أن قام بكل مهماته من التبليغ لرسالة الله على الوجه الأكمل فكان مكافأة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على كل ما بذله وتحمله في سبيل الدعوة فصلوات ربي وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله.

في تحريم إيذائه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإيذاء آل بيته الكرام

(١) ينظر: روح المعاني (١١/٢٥٤-٢٦٢) بتصرف.

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الصلاة قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم يسأل له الوسيلة (١/٢٨٨) برقم ٣٨٤.

(٣) ينظر: تفسير الرازي (٢٥/١٨٢).

(٤) حاشية الشهاب (٧/١٨٣).

بالتأمل في آيات سورة الأحزاب نجدها تحذر من الوقوع في إيذاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاعتبرت ذلك الإيذاء خروجًا عن الإيمان، وجرمًا عظيما يستحق صاحبه اللعنة في الدنيا والآخرة، بل حرم الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إيذائه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ الأحزاب: ٥٣ وقد نهت الآية نهيًا عامًا عن كل ما يتأذى منه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم خصص هذا النهي بحرمة زواج نسائه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى؛ لأن نكاح أزواجه من بعده صوات الله وسلامه عليه يعد عند الله أمرًا عظيما ،والمعنى: أي وما صح وما استقام لكم أن تؤذوا رسول الله أي تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به كالمكث والاستئناس بالحديث الذي كنتم تفعلونه وغير ذلك، والتعبير عنه عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتقبيح ذلك الفعل

والإشارة إلى أنه بمراحل عما يقتضيه شأنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذ في الرسالة من نفعهم المقتضي للمقابلة بالمثل دون الإيذاء ما فيها ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ من بعد وفاته أو فراقه وهو كالتخصيص بعد التعميم فإن نكاح زوجة الرجل بعد فراقه إياها من أعظم الأذى [1] ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ أي: أمرًا عظيمًا وخطبًا هائلًا لا يقادر قدره، وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإيجاب حرمته حيًا وميتًا ما لا يخفى، ولم يقف النهي عند هذا الحد؛ بل أتبعه بتهديد لعظم جرم من يفعل ذلك فقال تعالى وهو قوله ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ الأحزاب: ٥٤ والمعنى: إن تبدوا شيئًا مما لا خير فيه على ألسنتكم كأن تتحدثوا بنكاحهن أو تخفوه في صدوركم فإن الله كامل العلم فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة، ولقد أرشد الله نبيه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في آية سابقة من السورة إلى أن يدع أذاهم قال تعالى ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ الأحزاب: ٤٨ أي: إيذائهم، ومعناه لا تخف من إيذائهم إياك[2] ثم قال تعالى ﴿إِنَّ

(١) روح المعاني (٢٤٨/١١).

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت (٩١٩/٢).

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ الأحزاب: ٥٧ والمراد بقوله ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي، أو يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم إنه شاعر، وساحر، ومجنون – حاشاه- صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ونحو ذلك، وذكر الله للتعظيم له صلوات ربي وسلامه عليه [١] والمقصود من الآية هو الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وذكر الله تعالى إنما هو لتعظيمه، ببيان قربه، وكونه حبيبه، حتى كأنّ ما يؤذيه يؤذي الله، كما أن من يطيعه يطيع الله، وقد روى الطبريّ عن ابن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- أنها نزلت في الذين طعنوا على النبيّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حين اتخذ صفية بنت حييّ زوجًا له [٢]، وهذا في الحقيقة من أفراد ما تشمله الآية، بل لو قيل إنها عني بها من خاض في مسألة زينب بنت جحش -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-، لكان أقرب؛ لتقارب الآيات في الباب الواحد، وتناسقها كسلسلة واحدة، في تلك المسألة التي كانت المقصود الأعظم من السورة بتمامها[٣] وقوله تعالى متهددًا ومتوعدًا من آذاه بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك وإيذاء رسوله بعيب أو بنقص- عياذا بالله من ذلك[٤] ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ ولعنهم في الدنيا: بالقتل والجلاء، وفي الآخرة: بالنار تأذى [٥] وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ الأحزاب: ٥٨

وقد فرق تعالى بين إيذاء الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإيذاء المؤمنين، فأوجب على من أذى الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اللعن والطرد من رحمته بينما حكم على من آذى المؤمنين بالبهتان والإثم المبين قال الزمخشريّ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: أطلق إيذاء الله ورسوله، وقيد

(١) تفسير البيضاوي (٤/٢٨٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/٣٢٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي (٦/٦٥٦)، وقال ابن كثير: والظاهر أن الآية عامة في كل من آذاه بشيء ومن آذاه فقد آذى الله كما أن من أطاعه فقد أطاع الله كما قال الإمام أحمد تفسير ابن كثير ط العلمية (٦/٤٢٤).

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٨/١١).

(٤) تفسير ابن كثير ط العلمية ٦/٤٢٣.

(٥) ينظر: زاد المسير (٣/٤٨٣).

إيذاء المؤمنين والمؤمنات، لأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدًا، وأما أذى المؤمنين والمؤمنات، فمنه ومنه [١] ومعنى قوله ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ أي: بغير جناية واستحقاق للأذى، وقيل: نزلت هذه الآية في ناس من المنافقين يؤذون الإمام عليًا كرم الله وجهه ويسمعونه ا[٢]، وقيل: في الذين أفكوا على عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- فهي تحذير من إيذاء آل بيت النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صونًا لجنابه وتعظيمًا لمقامه صلوات ربي وسلامه عليه [٣]، وبالإضافة إلى هذا التهديد والوعيد فقد حذر الله المؤمنين بألا يتطاولوا على الحبيب ولا يتعرضوا له بالأذى كما فعلت اليهود مع نبي الله موسى -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- فبرأه الله مما اتهموه به قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ الأحزاب: ٦

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٥٥٩/٣).

(٢) ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحاكم في مستدركه قال: جاء رجل من أهل الشام فسب عليا عند ابن عباس فحصبه ابن عباس، فقال: " يا عدو الله آذيت رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: {إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا} [الأحزاب: ٥٧] لو كان رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حيا لآذيته وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» [التعليق - من تلخيص الذهبي] – صحيح ينظر: المستدرك على الصحيحين (١٣١/٣) برقم ٤٦١٨.

(٣) الكشاف للزمخشري (٥٩٩/٣).

المبحث الثاني

الرد على الشبهات المثارة حول جنابه المعظم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى

لقد لاقى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته أصنافًا كثيرًا من الأذى والافتراءات، ولم تقتصر تلك المزاعم والأباطيل على زمنه صلوات ربي وتسليماته عليه؛ بل تسابق المستشرقون والمغرضون في كل زمان على الانتقاص من شأنه، وتشويه مكانته في القلوب، وإظهاره في أعين الناس بمظهر الإنسان الشهواني والانتهازي – وحاشاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يكون هكذا، فكثيرون هم الذين سعوا هذا السعي، ونحوا هذا المنحى، واعتصروا الفكر، واستنجدوا بالحيلة، وناشدوا التاريخ، كي يتاح لهم أن ينسجوا صورة من هذا القبيل لسيد الخلق -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فما عادوا من سعيهم أو محاولاتهم بأي طائل، وظل كل من العقل والتاريخ والفكر الحر أمينًا على الكلمة الجامعة التي وصف الله بها سيدنا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ القلم: ٤ اقرأ ما تشاء من صفحات أي كتاب في شمائل هذا الرسول العظيم، تجد نفسك أمام المثل الأعلى، والنموذج الأتم للإنسانية الصافية عن الشوائب، وللذوق الرفيع في مقاييس المعاملة والسلوك، وللإحساس المرهف في رعاية الآخرين والاهتمام بهم [١] ، وفي هذا المبحث نستعرض صورًا من ألوان تلك الشبهات الواردة في هذه السورة الكريمة للنيل من هذا الجناب المعظم والرد عليها بالحجة والبرهان.

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: في قصة زواجه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من السيدة زينب بنت جحش و إبطال عادة التبني.

المطلب الثاني: في مسألة تعدد زوجاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتحريم الله تعالى عليه النساء في قوله ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ الأحزاب:٥٢.

---

(١) من كلام العلامة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه فقه السيرة النبوية دمشق –دار الفكر الطبعة السابعة والأربعون:١٤٤٣هـ-٢٠٢١م ص ٢٥٦.

المطلب الثالث: حول تقديم لفظ السيادة على اسمه الشريف والأدلة على ذلك والرد على من يبطلها.

المطلب الأول

الشبهة الأولى

حول زواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من السيدة زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قوله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ الأحزاب: ٣٧

ساء بعض الطاعنين والمستشرقين فهم هذه الآية الكريمة فتطاولوا بموجبها على الجناب النبوي المعظم مستمسكين بالروايات الدخيلة والموضوعة التي دست في ثنايا كتب التفسير والسير، والتي يأخذ بها ذوو الغفلة من المسلمين، ويجادل عنها من لا يعرف عصمة الأنبياء، ولا يقيم للحقائق التاريخية وزنًا، وربما أطلق بعض السفهاء في وصف النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذه الكلمة (النبي العاشق)، فكأن زواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بزينب جاء نتيجة لغرام سابق فأسدلوا على هذه القصة ستارًا من الأوهام وضروبًا من الخيالات والتصورات التي تخدش كرامة النبوة وعصمة الأنبياء وحاشا رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من ذلك الميول العاطفي[1] فمن هذه الروايات ما ورد في تفسير الإمام الطبري وخلاصتها: أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء إلى منزل زيد فلم يجده ورأى زينب وكانت بيضاء جميلة فأعجبته ووقع حبها في قلبه وقال سبحان مقلب القلوب، فتزوجه بزينب نتيجة للحب الذي وقع في نفسه عند رؤيته لها، وفسروا بأن الذي كان يخفيه الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نفسه هو حب زينب ورغبته الأكيدة في طلاقها من زيد ليتزوجها لكنه كان يخاف مقالة الناس أنه أمر رجلًا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها [2]

والرد على هذا من عدة وجوه:

تفسير الآية بهذا المعنى خطأ واضح وخروج بالآية عن معناها الحقيقي وتحميل

---

(١) مع المفسرين والمستشرقين في قصة زواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من زينب بنت جحش دراسة تحليلية لدلكتور زاهر عوض الألمعي – الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م ص ٢٢.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/٢٧٣).

لها بما لا تحتمله من معان؛ لأن معناها الحقيقي واضح وظاهر وبداية القصة هي: أنه حينما خير رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زيد بن حارثة بين أن يذهب إلى أبيه، وبين أن يبقى فاختار أن يبقى معه، ولقد قال زيد وهو حب رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ما كنت لأختار على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أحدًا، ولم يرض أن يذهب إلى أبيه، فأراد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالحنان البشري أن يكافئ زيدًا على اختياره له، فدعاه زيد بن محمد متبنيًا إياه، بعد ما كان اسمه زيد بن حارثة لكن الله -جَلَّ جَلَالُهُ- أراد أن يبطل عادة التبني عند رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعند غيره فأنزل ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ الأحزاب: ٥ فأصبح من يومها يسمى وينادى باسمه الحقيقي زيد بن حارثة لكن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يحب زيدًا وأراد مكافأته فألهمه الله أن يخطب زينب بنت جحش وهي من أشراف قريش لمولاه زيد بن حارثة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ووافقت بعد ان عرفت أنه أمر الله ورسوله وأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب: ٣٦ فتزوجها زيد ومكثت عنده ما يقرب من سنة، وكان زواج زيد بن حارثة بزينب تمهيد لإلغاء التبني، كما كان كسرًا لعنفوان النزعات الطبقية ثم حدثت بينهما خلافات لم يطيقا معها تحمل الحياة الزوجية، وقد استشار زيد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في طلاق زينب وأوضح له بعض الأسباب الداعية إلى ذلك فأشار عليه رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن يمسك زوجه، علمًا بأن الله تعالى قد أخبر رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن زينب ستكون من أزواجه بعد أن يطلقها زيد، ولكن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان يستحي من إظهار ذلك إذ لم يأمره الله بإظهاره كما كان يخشى أن يقول المنافقون: تزوج محمد بزوجة ابنه بالتبني وكان يرجو من الله تعالى أن يعفيه من هذا التكليف ولكن ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ الأحزاب: ٣٧.

ويكفينا في الرد على هذه الشبهة: أن الروايات التي سيقت كلها من قبيل الإسرائيليات الساقطة سندًا ومتنًا وتقدح في عصمة خير البرية -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فالأسانيد الخاصة بهذه القصة جميعها متهمة بالكذب، والتحديث بالغرائب والموضوعات، وقد تنبه لزيفها وبطلانها جمع من المحدثين الراسخين، قال الحافظ ابن

حجر: ورويت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين، لا ينبغي التشاغل بها [١] وقال ابن كثير في تفسيره: ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هنا آثارًا عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها [٢] فكل ما قيل في هذه القصة هي روايات مختلقة ولا أصل لها كما يقول الإمام الشيخ محمد عبده في رسالته: أما والله لولا ما أدخل الضعفاء والمدلسون من مثل هذه الرواية ما خطر ببال مطلع على الآية الكريمة شيء مما يؤمنون إليه؛ فإن نص الآية ظاهر جلي لا يحتمل معناه التأويل ولا يذهب إلى النفس منه إلا أن العتاب كان على التمهل في الأمر والتريث به، وأن الذي كان يخفيه في نفسه هو ذلك الأمر الإلهي الصادر إليه بأن يهدم تلك العادة المتأصلة في نفوس العرب وأن يتناول المعول لهدمها بنفسه كما قدر له أن يهدم أصنامهم بيده لأول مرة عند فتح مكة [٣]

قال ابن العربي: فأما قولهم: إن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رآها فوقعت في قلبه فباطل فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، وقد وهبته نفسها، وكرهت غيره، فلم تخطر بباله، فكيف يتجدد له هوى لم يكن، حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة[٤]، وما ذكره ابن العربي أقوى ما يرد على مالا يليق بمقام النبوة أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعرف زينب من صغرها إلى أن تزوجها، فلو كانت المسألة فيها شيء من الرغبة الجنسية لتزوجها هو، وإنما الواقع الحقيقي هو أنه إبطال لزواج المتبني بزوجة من يتبناه، فلقد قصد الإسلام إذابة الفوارق الطبقية بين الناس، وإقامة العلاقات الأسرية على أساسها الصحيح وإبطال عادة التبني حماية لحقوق الأسرة والأنساب.

---

(١) فتح الباري: (٤٢٥/٨).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٧٨/٦)

(٣) مشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة للإمام الشيخ محمد عبده منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٩٦ص ١٠٢.

(٤)ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٥٧٧/٣).

كما أن الخشية من الناس في حق الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قوله ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ قولهم: إن محمدًا تزوج بحليلة ابنه، **والرد على هذا:** أن زيدًا لم يكن ابنًا صلبيًا للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل كان دعيًا، وأبطل الإسلام هذه العادة الجاهلية بالأمر بمناداتهم باسم آبائهم ولا ينطبق عليه التحريم في قوله ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾ النساء: ٢٣ ولو قال الناس تزوّج محمد امرأة ابنه فما هو إلا ادّعاء للبنوة وهو لون من التزوير، ينبغي أن يقلعوا عنه، وأن يهدروا نتائجه، وليكن عمل الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنفسه، وبمن التصق به أول ما يهدم مآثر الجاهلية في العرف الشائع [(١)]، وقوله تعالى ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ الأحزاب: ٣٧ أي: تخفي ما سيقع من الضجة والاعتراض عليك بعد أن تتزوج زوجة ابنك الذي تتبناه، وفي هذه القصة مالا يخفى من التنويه بقدر المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والإعلام بعظيم مكانته عند ربه -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وأنه سبحانه يحب ما يحبه، ويكره ما يكرهه، وينوب عنه في إظهار ما استحيا من إظهاره، لكن هذا الذي سيقوله الناس هو ما أراد الله هدمه، ويجب على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن ينفذه دون تهيب، وقد تربّث النبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في إنفاذ أمر الله، ولعلّه ارتقب من الله- لفرط تحرجه- أن يعفيه منه، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فعند ما جاء زيد يشكو امرأته، ويعرض نيته في طلاقه لزينب« عند ذلك نزل الوحي على الرّسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يأمره ويحضّه على إمضاء رغبة زيد في فراق امرأته، ويكلّفه بتزوجه، ولكن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تحرج من زيد، ولكن الله رفع الحرج عنه هذه الحادثة وبين السبب صراحة إعظامًا وتشريفًا وكرامة له صلوات ربي وسلامه عليه فقال ﴿زَوَّجۡنَاكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ الأحزاب: ٣٧ – ٣٨، كما أن هذا القول لا يليق بمقام النبوة، فلا يليق به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يمد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا، وهذا لا يتسم به الناس، فكيف بسيد الأنبياء؟ الذي مدحه الله بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ القلم: ٤، بل بينت الآيات الواردة

(١) ينظر: فقه السيرة المؤلف: محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) الناشر: دار القلم – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ بتصرف (٤٢٨/١)

في شأن هذه القصة أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بلغ كلام الله على الوجه الأكمل حتى لو فيه عتابه وصدقت السيدة عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- حين قال لو كتم رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شيئًا من الوحي لكانت هذه الآية ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ الأحزاب: ٣٧، وإذا كان زيد قد اختار النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأراد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مكافأته بتزويجه زينب ابنة عمته ولم يوفق الله بينهما فالله يتولى مكافأته بعد أن انتزع اسم زيد من اسم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولم يعد ابن محمد بإبطال التبني ونزول الأمر من السماء ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الأحزاب: ٥ أي: أعدل

فمكافأة الله لسيدنا زيد أن ذكر اسمه صراحة في القرآن ولم يذكر اسم صحابي قط فكان هذا إكرامًا وإرضاء للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي اراد أن يرد التحية لزيد فحياه الله من فوق سبع سماوات وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

المطلب الثاني

شبهة تعدد زوجاته –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–

في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾ الأحزاب: ٥٠

لقد ثار المستشرقون بشبهة زواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأكثر من واحدة حيث انتقل -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتحته تسع نسوة مع أنه جاء بالوحي على ألا يتزوج الرجل أكثر من أربع نسوة، فاتهموه بأنه رجل شهواني، وأن الغرض من كل هؤلاء النسوة هو إشباع الغريزة الجنسية، وصوّروه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بصورة الرّجل الّذي لا همّ له إلّا إشباع رغباته الجنسيّة والجري وراء النّساء، وقد اعتمد هؤلاء في طعونهم بالنّبيّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على روايات مختلفة مدسوسة عند أئمة النّقد وعلماء الرّواية، وأغلب الظّنّ فيها أنّها من صنع أسلافهم من اليهود والزّنادقة من الفرس وغيرهم، الّذين عجزوا أن يقاوموا سلطان الإسلام وقوّته، فلجأوا إلى الدّس والكذب، وجاز هذا الزّور على بعض الأغرار من المسلمين، فرووه في كتبهم، ولكنّه ما كان يخفى على العلماء والرّاسخين، فنبّهوا على كذبه، وحذّروا من التّصديق به.

فالمستشرق **اميل درمنغم** [١]، في كتابه (حياة محمد) قال: شعر محمد بالعقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء [٢]، وكذلك المستشرق: **غوستاف لوبون** [٣] الذي

---

(١) اميل درمنغم E.Dermenghem هو مستشرق فرنسي، كان يعمل مديرًا لمكتبة الجزائر، ويعد كتاب "حياة محمد" من أهم آثاره الصادرة في باريس ١٩٢٩، وله أيضًا كتاب "محمد والسنة الإسلامية"، الصادر في باريس ١٩٥٥ نقلًا عن الموسوعة الحرة.

(٢) حياة محمد –إميل درمنغم ط عيسى البابي الحلبي –القاهرة. ص ٢٩٩.

(٣) غوستاف لوبون: الطبيب والمؤرخ الفرنسي يُعد واحدًا من أشهر المؤرخين الأجانب الذين اهتموا =

قال: وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء [١]، ويقول المستشرق **مونتجومري وات** [٢] في كتابه (محمد في المدينة)، والذي يعتبرونه موضوعيًا في كتاباته كما يزعمون يقول: " أنه على الرغم من حساسية محمد أمام سحر النساء إلا أنه كان يسيطر تماما على عواطفه وأنه لم يكن يقدم على أي زواج إلا إذا استحسنه سياسيا واجتماعيا [٣] "

أقول: قبل أن نرد على سر التعدد لأكثر من أربع زوجات للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **هناك نقطتان جوهريتان يجب ألا نغفل عنهما ونضعهما نصب أعيننا:**

النقطة الأولى: أن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يعدد زوجاته إلا بعد بلوغه سن الخمسين.

النقطة الثانية: أن جميع زوجاته الطاهرات ثيبات وأرامل، عدا السيدة عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- هي الوحيدة من بين نسائه التي تزوجها بكرًا، فلو كانت بواعث التعدد هي الشهوة وإرضاء الغريزة لاختار البنات الأبكار، وطلب الجمال في مظانه بين المهاجرين والأنصار، بل عند غيرهم حتى من ألد أعدائه فقد كانوا يرون فيه الرجل الكامل العظيم الذي تخطب ساحته ويحتمى بحماه.

و أقول:

أولاً: لقد أُرسِل النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتعدد بشكل عام لم يكن بدعًا بل كان موجودًا

بدراسة الحضارات الشرقية والعربية والإسلامية عُرف بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية توفي في ولاية مارنيه لاكوكيه، بفرنسا ١٩٣١م نقلا عن الموسوعة الحرة.

(١) حضارة العرب غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر عيسى البابي الحلبي – القاهرة ص ١١٢.

(٢) مونتجمري وات: مستشرق بريطاني من أصل اسكتلندي ولد في ١٤ مارس ١٩٠٩، كان والده قسيسا، درس في عدة جامعات أوروبية، خصص في دراسة الإسلام، واهتم بدراسة السيرة النبوية، وكان متعصبا دينيا، توفي (٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦) عن عمر يناهز (٩٧) عاما، من أهم كتبه:" محمد في مكة" و" محمد في المدينة" و" محمد النبي والسياسي" و"تأثير الإسلام على أوروبا خلال العصور الوسطى" ن: نقلًا عن https://islamonline.net

(٣) محمد في المدينة، مونتجمري وات ترجمة شعبان بركات. ص ٥٠٦

عند العرب، وموجود حتى عند الأنبياء السابقين، فهذا أبو الأنبياء إبراهيم -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- كانت عنده زوجته سارة ثم تزوج بهاجر أم إسماعيل -عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ- وهذا داود وسليمان -عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ- كانت لكل منهما مجموعة من النساء، فنظام التعدد في الإسلام لم يكن جائرًا ولا خارجًا عن المألوف، لكن الله أراد أنْ يحدد هذا التعدد تحديدًا يمتص الزائد من النساء، ولا يجعله مباحًا في كل عدد، فأمر رسوله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يقول لأمته: مَنْ كان عنده أكثر من أربع فليمسك معه أربعًا فقط، ويفارق ما زاد عنهن.

ثانيًا: أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان عنده تسع زوجات وتوفي عنهن وتحته هذا العدد فلو أن الحكم شمله، فأمسك أربعًا، وسَرَّح خمسًا لأصابهُنَّ ضرر كبير، ولصِرْنَ مُعلَّقات؛ لأنهن زوجات رسول الله وأمهات لمؤمنين، وليس لأحد أن يتزوج إحداهن بعد رسول الله لقوله ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ الأحزاب: ٥٣ فالله -عَزَّوَجَلَّ- لم يرض بظلم للزوجات وللمرأة عموما فكيف يظلمها الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويضر بها.

ثالثًا: الحكم يختلف مع رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في التوسعة؛ فالعدد بالنسبة له يقتصر على هؤلاء التسعة بذواتهن، بحيث لو ماتت إحداهن أو طُلِّقت فليس له أنْ يتزوَّج بغيرها؛ لأن الله خاطبه بقوله﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ الأحزاب: ٥٢ فنبينا صلوات الله وسلامه عليه الاستثناء في جانبه من ناحية المعدود وبقية رجال أمته استثناء في العدد، حيث وقف عند هؤلاء التسع بذواتهن، وليس له أنْ يتزوج بأخرى، أما غيره من أمته فلن أنْ يتزوج ضِعْف أو أضعاف هذا العدد، شريطة ألاَّ يزيد عن أربع في وقت واحد، فالناظر في هذه المسألة يرى أن النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ضيق عليه في هذه المسألة، فلو ماتت كل زوجاته لم يجز له أن يأت بأخريات كباقي أمته.

رابعا: لو نظرنا إلى الزواج الأول للنبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو في مرحلة شبابه لوجدنا أنه تزوج بالسيدة خديجة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- والتي كانت تكبره بأكثر من خمسة عشر عامًا ورغم ذلك كان زواجًا ناجحًا بامتياز تمنت كل العرب أن يسود بيوتهم ما في هذا البيت من الحنان والأمان، والطمأنينة والاستقرار، واستمر هذا الزواج حوالي ربع

قرن لم يفكر النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يتزوج على السيدة خديجة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، رغم أن التعدد كان سائدًا ومباحًا ولا لوم فيه، بل ضرب النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أروع الأمثال في وفائه للسيدة خديجة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- واستمر حوالي ثلاث سنوات بعدها لم يتزوج، فلو كان شهوانيًا كما يقولون - وحاشاه - فلم ظل كل هذه الفترة دون زواج مكتفيًا بامرأة واحدة؟

خامسًا: بعد وفاة السيدة خديجة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بلغ من العمر الخمسين ثم لما تزوج نسائه التسع كانت هناك دوافع وحكم من وراء كل واحدة منها:

أ-**الحكمة الإنسانية:** مثل بعض النساء العجائز اللاتي مات عنهن أزواجهن، فلم يبق لهن سند أو معين في الحياة، وهناك الأمهات اللاتي افتقدن الكفيل لهن ولأطفالهن، وكانت هناك بعض الأرامل اللاتي لو رجعن إلى أهلهن لعذبن عذابًا شديدا ولفتن فتونا كبيرًا، فتزوجهن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صيانة لهن ورعاية لإنسانيتهن فمنهن السيدة سودة بنت زمعة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، والسيدة زينب بنت خزيمة والتي كان عمرها حوالي خمس وستون سنة حينئذ، والسيدة أم سلمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-.

ب- **الحكمة التعليمية:** فلم يتزوج بكرًا قط سوى السيدة عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تزوجها وهي صغيرة السن، فقد ظلت السيدة عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- تدرس وتبلغ تعاليم الإسلام، وتفتي في الكثير من المسائل الهامة ثماني وأربعين سنة بعد وفاة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وانتقل ربع الأحكام الشرعية إلى الأمة الإسلامية من خلال توجيهاتها ومساعيها.

ج- **الحكمة التشريعية:** كزواجه صلوات ربي وسلامه عليه بالسيدة زينب بنت جحش -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- شريفة بني هاشم لتحقيق بعض الغايات التشريعية، ومنها: إبطال بعض العادات التي سادت زمن الجاهلية مثل التبني فأبطل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عادة التبني بزواجه بمطلقة متبناه زيد وهي أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش.

د- **الحكمة الاجتماعية:** كزواجه بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-؛ جاء توطيدًا للصلة التي

بينه وبين أهم وأعظم أصحابه وهما: سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، اللذين يعدا وزيري المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والمستشارين عنده، ومن ناحية أخرى فقد زوج الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعض بناته بسيدنا عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وقربهما إليه، وقد كان هذا حافزًا لهما بالتضحية في سبيل الله بكل شيء، وهكذا صار سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- جميعًا من أعاظم الرجال وأتقاهم، وأقربهم إلى قلب النبي -.الثَّلَاثَة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هـ--الحكمة **السياسية**: ونرى الكثير من المصالح السياسية التي تحققت من وراء زيجات النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فمثلًا: زواجه بالسيدة جويرية بنت سيد بني المصطلق، وعتق أسرى بني المصطلق فأسلموا وتخلوا عن أعمال قطع الطريق وغاراتهم التي كانوا يشنونها ضد المسلمين، وكزواجه بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني قريظة قضى على موقف العداء الذي وقفه اليهود ضد الإسلام ووضع حدًا لمؤامرتهم ضد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد هذا الزواج، وهكذا زواجه بالسيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد قريش، فنرى أبا سفيان الذي كان ألد أعداء الإسلام قبل إسلامه، وزواجه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالسيدة ميمونة أخت زوج سيد بعض قبائل سعت فسادا في الأرض واغتالت سبعين من كبار الصحابة بالمكر والخديعة، كان له أثر بالغ في تلطيف مخاصمة هذه القبائل للمسلمين، فما رأي الأفاكين والمغرضين من المستشرقين في زواج الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بهؤلاء النسوة؟، هل تمت هذه الزيجات بدافع الأنانية كما يزعمون أو هو منتهى الإيثار!

إن من نظر إلى خصال الكمال وجد نبيّنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حائزا لجميعها، محيطا بشتاتها، فقد كانت فيه الأخلاق الحميدة، والآداب المجيدة، جميعها على الانتهاء في كمالها، والاعتدال في غايتها، حتّى أثنى الله عليه بذلك، فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ القلم: ٤، وكان -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مجبولًا عليها في أصل خلقته، مطبوعًا عليها في أوّل فطرته؛ بالجود الإلهيّ، والتّخصيص الرّحمانيّ، ثمّ ازداد كمالًا بترادف نفحات الكرم، وإشراق أنوار المعارف والحكم، وطلوع شمس النّبوّة والرّسالة، واتّساق بدر الخلّة والمحبّة، إلى ما لا يحيط به الوصف، ولا يدركه الوهم، ولا يعلمه إلّا مانحه ومسديه، ومعيد الفضل

ومبديه مع ما خصّه الله به من جوامع كلمه، وبدائع حكمه، ومع التّأييد الإلهيّ والعصمة بالوحي السّماويّ، فإنّه يقتضي العجب، ويذهب به الفكر، ويعلم يقينا مصداق قوله تعالى تشريفًا له وتكريمًا وتعظيمًا ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء: ١١٣ (١)

(١) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار المؤلف: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق» (المتوفى: ٩٣٠هـ) الناشر: دار المنهاج – جدة تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ (٤٣٠/١).

المطلب الثالث

حول تقديم لفظ السيادة قبل ذكر اسمه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-
في الصلاة وغيرها

يسوء كثير ممن لم يقدروا عظمة الجناب النبوي ولا يفهمون أن العظمة والتوقير والإكبار والإجلال ينافي العبودية فنراهم –للأسف الشديد- يتبعون ما سنه لهم المحرفون من النهي عن قولهم سيدنا ومولانا لأي مخلوق حتى ولو كان نبيًا، ولا يسوؤهم ولا ينكرون ألفاظ الغلو والتعظيم للأجانب والتجار ولكل من هب ودب، ولقد كان لزامًا عليهم ما سنه لهم شيوخهم أن ينكروا قول الله تبارك وتعالى حيث ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾ التحريم: ٤

وقد كان اللازم عليهم ما سنه لهم أشياخهم بالإنكار على الله تعالى حيث قال في يحيى بن زكريا -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾ آل عمران: ٣٩؛ بل الإنكار عليه تبارك وتعالى حيث أثبت السيادة لكافر به ﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾ يوسف: ٢٥ فهؤلاء لم يأخذوا من السنة سوى قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (السيد الله)[١] وجهلوا جهلا تامًا قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- " أنا سيد ولد آدم "[٢] وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سيدنا الحسن بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وهو من آل البيت "إن ابني هذا سيد"[٣] وجهلوا أيضًا قوله -

(١) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد باب هل يترك سيدي؟ (٨٣/١) برقم ٢١١، وأبو داود في سننه كتاب الأدب باب في كراهية التمادح (٢٥٤/٤) برقم ٤٨٠٦، وأحمد في مسنده حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه (٢٣٤/٢٦)

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب تفضيل نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على جميع الخلائق (١٧٨٢/٤) برقم ٢٢٧٨، وابن حبان (كتاب التاريخ باب ذكر الإخبار بأن الأنبياء أولهم وآخرهم يكونون في القيامة تحت لواء المصطفى -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-) (٣٩٨/١٤) برقم ٦٤٧٨ وقال المحقق شعيب الأرناؤوط صحيح لغيره.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الصلح باب قول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للحسن بن علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» وقوله جل ذكره: {فأصلحوا بينهما} [الحجرات: ٩]
=

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- " سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت[١]، وقوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (سيد الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم...الحديث) [٢].

إن دعوى عدم الورود ليست صحيحة؛ فقد وردت السيادة في الصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الصحابيين الجليلين عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- وأرضاهما؛ فعن عبدالله بن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: «إذا صليتم على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه»، قالوا: فعلمنا، قال: «اللهم اجعل صلاتك، ورحمتك، وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا، يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» [٣] وقال العلامة ابن حجر الهيتمي الشافعي وهو شامل للصلاة

"(١٨٦/٣) برقم ٢٧٠٤.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار (٦٧/٨) برقم ٦٣٠٦ وفي باب ما يقول إذا أصبح (٧١/٨) برقم ٦٣٢٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده زيادة في حديث أبي لبابة ابن عبد المنذر (٣١٤/٢٤) برقم ١٥٥٤٨، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (٣٤٤/١) برقم ١٠٨٤ باب في فضل الجمعة له شاهد من حديث أبي هريرة عند الحاكم كتاب الجمعة باب سيد الأيام يوم الجمعة (٤١٢/١) ١٠٢٦ وقال الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، فقد استشهد بعبد الرحمن بن أبي الزناد، ولم يخرجا «سيد الأيام».

(٣) رواه ابن ماجة في سننه كتاب الصلاة، باب: الصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (٢٩٣/١) برقم ٩٠٦، والطبراني في المعجم الكبير باب ابن مسعود ومن كلامه (١١٥/٩) برقم ٨٥٩٤، والبيهقي في شعب الإيمان باب تعظيم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (١٢٢/٣)، وهو أثر صحيح له حكم الرفع؛ لأنه مما لا يقال بالرأي، وصححه الحافظ مغلطاي في شرح سنن ابن ماجه قال: هذا موقوف، إسناده صحيح، ينظر: شرح سنن ابن ماجه - الإعلام بسنته عليه السلام المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري

وخارجها[١]"، ورجح كثير من العلماء المحققين سلوك الأدب على امتثال الأمر أخذًا من قوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الصحيح: (ما منعك يا أبا بكر أن تثبت إذ أمرتك) [٢] فقال -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعرفه كل من له إلمام بالعلم ومعلوم لدى كل لبيب أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيد المتواضعين فلا يعقل أن يقول لأمته سودوني، ولا حجة في قوله قولوا (اللهم صل على محمد) على منع تسويده، فمن امتثل الأمر وصلى عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقد أحسن، وما نسب إليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أنه قال (لا تسودوني في الصلاة باطل لا أصل له مفترى عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد أجمعت الأمة على ثبوت السيادة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وعلى عَلَمِيَّته في السيادة، قال الشيخ الشرقاوي: "فلفظ سيدنا عَلَمٌ عليه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، وأما ما شذ به البعض للتمسك بظاهر بعض الأحاديث متوهمين تعارضها مع هذا الحكم فلا يُعتَد به" [٣] كما يسوء بعض الجاهلين الذين لم يعرفوا معنى التعظيم والتوقير اجتماع الناس في مولده -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لسماع ما تيسر من آيات القرآن، وقراءة الأخبار الواردة في مولده -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقراءة شمائله الكريمة؛ تعظيمًا لقدره -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، ثم مد طعام لهم يأكلون وينصرفون يرون هذا العمل منكرًا عظيمًا تجب عليهم إزالته باليد، ونسوا قول العلامة السيوطي في رسالته (حسن المقصد في عمل المولد) قائلًا ما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل

المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ) المحقق: كامل عويضة - الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (١/١٥٢٩).

(١) الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) عني به: بوجمعة عبد القادر مكري ومحمد شادي مصطفى عربش الناشر: دار المنهاج – جدة الطبعة: الأولى - ١٤٢٦ هـ (١/١٣٧).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الآذان باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول (١/١٣٧) برقم ٦٨٤، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة بالتقديم (١/٣١٦) برقم ١٠٢.

(٣) فتوى دار الإفتاء المصرية (١٢ديسمبر ٢٠١٠م) برقم ٧٣٢٧ فضيلة د / علي جمعة محمد.

عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك فقد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان ذلك بدعة حسنة وإلا فلا [(١)]، وهل اجتماع الناس لقراءة سيرته ومعرفة خصائصه وشمائله إلا جزءًا من سنته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ! وهل الصلاة عليه وإنشاد قصائد في مدحة إلا جزءًا من محبته والإيمان به صلوات الله وسلامه عليه.

ولما كان التعلق برسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والتقرب من جنابه الشريف رجاء كل مسلم، ومرام كل مؤمن، وغاية كل محسن موقن فيجب على الجميع أن يعرفه حق المعرفة يقول تعالى ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ المؤمنون: ٦٩ فإن الله سبحانه ذم من جهل رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛لأن معرفته أصبحت واجبة، وكيف لا تكون كذلك، والجهل بالرسول جهل بالمرسل جل وعز، فإن الخلق ما عرفوه سبحانه إلا من باب رسله صلوات الله وسلامه عليهم، ولما كان سيدنا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- واسطة عقد النبيين والمرسلين، وسيد ولد آدم أجمعين كان طلب معرفته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أشد وجوبًا، والتعلق بجناب حضرته الشريفة حرزًا مطلوبًا حتى إن المولى سبحانه أخذ العهد على النبيين قبل مبعثه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن يتبعوه قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۝٨١﴾ آل عمران: ٨١ فعرفهم به فعرفوه ثم جمعهم به ليلة الإسراء فقدموه، فكان الأنبياء والرسل على الحقيقة أتباعه فما تقدموه؛ بل عظموه وبجلوه بما علموه وشاهدوه قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ الأحزاب: ٤٥.

وفي الحقيقة الكشف عن جوانب العظمة في الجناب النبوي المعظم لهو تقرب وتودد، واستعطاف وانتساب وتعرض لنفحات فضل الممدوح، واستمطار لسحائب إحسانه، واستنزال لغزير بره وامتنانه، وتعرض لنفحات الرحمة الإلهية؛ لأنه إذا كانت رحمته تتنزل عند ذكر الصالحين فما بالنا بسيدهم وسندهم وممدهم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

(١) حسن المقصد في عمل المولد للإمام السيوطي ت ٩١١الناشر موقع المسلم ص ١٠.

وصدق القائل:

وإذا ما الجناب كان عظيمًا مد منه لخادمه لـواء
وإذا ما عظمت سيادة متبو ع أجل أتباعه الكبراء [١] [٢]

(١) هذه الأبيات منسوبة للعلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن زكري الفاسي ت ١١٤٤هـ وتعرف بهمزية المديح للجناب النبوي معارضا بها همزية الإمام البوصيري –رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وعدد أبياتها ٥٥٣بيتًا من بحر الخفيف ومن مؤلفاته أيضا: السيف الصارم في الرد على المبتدع الضارم، شرح الحكم العطائية ينظر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى دليل ابن سودة تأليف عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري ظبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ج١ص ٤٨.

(٢)منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- المؤلف: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: ١٤١٠هـ) - الناشر: دار المنهاج – جدة - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م (٦٤/١).

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ومولانا وقدوتنا وشفيعنا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبعد، فقد عشت مع هذا البحث فترة من الزمن حاولت من خلاله الكشف عن عظمة ورفعة مقام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في سورة الأحزاب، هذه السورة التي اجتمع فيها صفات من الكمال، والجلال، والجمال للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما لم تجتمع في غيرها ويمكن تلخيص ما توصلت إليه فيما يلي:

أولاً: الجناب النبوي لرسولنا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مخصوص عند الله تعالى بالتشريف والتعظيم والإكبار والرفعة، بداية من ندائه صلوات الله وسلامه عليه بمقام النبوة إجلالًا وتعظيمًا وتفخيمًا لمقامه الشريف حتى يتعلم المسلمون الأدب مع هذا المقام، ووصفه بالولاية، وبيان صفاته من الشجاعة والصدق والتحمل التي ظهرت وتجلت في غزوة الأحزاب؛ ليكون بذلك خير قدوة وأسوة لكل من يرجو الله ورسوله فلولاه ما وصل إلينا شيء من الخير فهو وسيلتنا وواسطتنا عند الله.

ثانيًا: نداءات الله تعالى للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في ضوء السورة الكريمة لها دلالات مختلفة عن بعضها البعض، منها ما هو واجب عليه تجاه ربه وتجاه أهل بيته، وبيان أوصافه والأحكام الخاصة به وحده.

ثالثًا: تجلت عظمة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في منحه صفات لم تمنح لغيره ككونه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شاهدًا، ومبشرًا، ونذيرًا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

رابعًا: بينت الدراسة أهمية صيانة ومكانة زوجات النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنها من مكانة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأزواجه أمهات للمؤمنين ويمنع إيذاء النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في آل بيته، أو ذكر أي واحدة منهن بأي أذى أو مكروه فإيذاء النبي أو أحد من آل بيته كإيذاء الله، وطاعة النبي من طاعة الله.

خامسًا: هناك أحكاما خاصة للنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعلها الله تعالى مزية له وحده دون غيره كزواجه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بمن شاء من النساء سواء كن مهاجرات معه أو واهبات أنفسهن له كرامة وتعظيما لمكانته عند ربه، ثم رفع عنه الحرج والجناح

فيما يستشعر منه الحياء صونًا لمقامه الشريف.

سادسًا: وجوب وفرضية الصلاة على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولا تصح صلاة المسلم بدونها وأن لها فضل عند الله تعالى لذا بدأ بنفسه وثنى بملائكته الذين لا يعلم أحد حصر عددهم إلا علام الغيوب حتى لا يكون لأحد منة على رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

سابعًا: كشفت الدراسة عن بعض الشبهات التي تطاولت على الجناب النبوي العظيم فتناولت شبهة زواج النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من السيدة زينب بنت جحش لا كما يزعم الطاعنون والمستشرقون؛ بل كان الدافع من وراءه إبطال عادة التبني التي كانت منشرة في الجاهلية والتي لو استمرت لهدمت النظام الأسري في المجتمع فجاء إبطالها على يد النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو قائد ومشرع عن الله تعالى.

ثامنًا: بينت الدراسة الرد على شبهة تعدد زوجات النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن كل زواج كان من وراءه حكم منها: الاجتماعية، والإنسانية، والتعليمية والسياسية، والتشريعية.

تاسعًا: قامت الدراسة بالكشف عن وجوب تعظيم مقام النبي في تقديم لفظ السيادة على اسمه المعظم، وردت على الأدعياء والجهلة الذين ينادون ويعتقدون أن كمال التوحيد لله في التقليل من قدر الجناب النبوي المعظم؛ بل أثبتت أن تسويده صلوات ربي وسلامه عليه أدب وكمال ولا يحوز بأي وجه من الوجوه الانحراف بفهم النصوص عن معناها الصحيح فمقام الأدب مقدم على الامتثال للأمر.

توصيات البحث:

١-أوصي الباحثين بالكشف عن عظمة المقام النبوي في الكثير من سور القرآن الكريم.

٢-سورة الأحزاب مليئة بكثير من الآداب والتوجيهات الاجتماعية والأخلاقية التي تفيد الفرد والمجتمع ويمكن تناول هذه الآداب في رسائل وأبحاث منفردة.

المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم

١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٢) البحر المحيط في التفسير المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ(المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٣) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤) التسهيل لعلوم التنزيل المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.

٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

٦) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم تأليف الدكتور أحمد السيد الكومي أستاذ التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة والدكتور محمد أحمد يوسف القاسم رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٧) التفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.

٨) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٩) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٠) الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) عني به: بوجمعة عبد القادر مكري ومحمد شادي مصطفى عربش الناشر: دار المنهاج – جدة الطبعة: الأولى - ١٤٢٦ هـ

١١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة -عام النشر: ١٢٨٥ هـ

١٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ) الناشر: دار الفيحاء – عمان -الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ

١٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

١٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٦) المدخل إلى السنن الكبرى المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ(المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت.

١٧) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ(المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٨) المعجم الكبير المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ(المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة الطبعة: الثانية.

١٩) المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى

(المتوفى: ٥٠٢هـ(المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

٢٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ(الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ

٢٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمي على الخطيب المؤلف: سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي (المتوفى: ١٢٢١هـ) الناشر: دار الفكر - الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤) تفسير الماوردي = النكت والعيون المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ(المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

٢٥) تهذيب التهذيب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ(الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٢٦) جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ(المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ(حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس الناشر: دار النفائس، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

٢٩) زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد

الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٣٠) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط المؤلف: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ(المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٣١) سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ(المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي الناشر: دار الرسالة العالمية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٣٢) سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ(تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٣٣) شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها للشيخ محمد متولي الشعراوي جمع وإعداد وترتيب عبد القادر أحمد عطا – مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة -عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣٤) شعب الإيمان المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ(حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ(المحقق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٣٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.

٣٧) فتحُ البيان في مقاصد القرآن المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ(عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت

عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٨) فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

٣٩) فقه السيرة المؤلف: محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ) الناشر: دار القلم – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ

٤٠) لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ).

٤١) محاسن التأويل المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ(المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٤٢) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع - بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ

٤٣) مسند الشاميين المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ(المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤.

٤٤) مشكلات القرآن الكريم وتفسير سورة الفاتحة للإمام الشيخ محمد عبده منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٩٦.

٤٥) مع المفسرين والمستشرقين في قصة زواج النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- من زينب بنت جحش دراسة تحليلية للكتور زاهر عوض الألمعي – الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م

٤٦) نوادر الأصول في أحاديث الرسول -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ) المحقق: عبد الرحمن عميرة الناشر: دار الجيل – بيروت.

٤٧) أحكام القرآن المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٤٨) أسباب نزول القرآن المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي،

النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤٩) الأدب المفرد المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ(المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٥٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ(المحقق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت

٥١) المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٥٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير(المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ(المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.

٥٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

٥٤) تفسير الوسيط للقرآن الكريم المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

٥٥) تهذيب الأسماء واللغات المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٥٦) حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي الباجوري المتوفى (١٢٧٦هـ) تحقيق أ.د علي جمعة مفتي الديار المصرية سابقًا ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٥٧) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى:

١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر – بيروت.

٥٨) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار المؤلف: محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَق» (المتوفى: ٩٣٠هـ) الناشر: دار المنهاج - جدة تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ

٥٩) حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي – القاهرة

٦٠) حياة محمد –إميل درمنغم ط عيسى البابي الحلبي –القاهرة – الطبعة الثانية ١٩٤٥م. دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ٢٠٢٠م.

٦١) دليل مؤرخ المغرب الأقصى دليل ابن سودة تأليف عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري- ظبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦٢) رحمة للعالمين المؤلف: محمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ) ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة: الأولى.

٦٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء االمؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٦٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ) المحقق: الشيخ زكريا عميرات - الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ

٦٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

٦٧) محمد في المدينة، مونتجمري وات ترجمة وتعريب: شعبان بركات – منشورات المكتبة العصرية –صيدا – بيروت ١٤٤٦هـ-٢٠٠٢م.

٦٨) محمد رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منهج ورسالة – بحث وتحقيق بقلم محمد الصادق إبراهيم عرجون –دار القلم –دمشق – الطبعة الرابعة ١٤٤٠هـ-٢٠١٩.

٦٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد

الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

٧٠) معاني القرآن وإعرابه المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧١) معجم اللغة العربية المعاصرة المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٧٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٧٣) منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المؤلف: عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللّحجي الحضرميّ الشحاري، ثم المراوعي، ثم المكي (المتوفى: ١٤١٠هـ) - الناشر: دار المنهاج – جدة - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

٧٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

Index of sources and references

The Noble Qur'an is the bulk of those who revealed it

1. **"Al-Misbah Al-Munir fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir"** by Ahmad ibn Muhammad ibn Ali Al-Fayoumi Al-Hamawi, Abu Al-Abbas (d. ~770 AH), published by Al-Maktaba Al-Ilmiyyah, Beirut.
2. **"Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir"** by Abu Hayyan Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Yusuf ibn Hayyan, Athir Al-Din Al-Andalusi (d. 745 AH), edited by Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr, Beirut, 1420 AH.
3. **"Al-Tahrir wa Al-Tanwir" (Liberation and Enlightenment)** by Muhammad Al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad Al-Tahir ibn Ashur Al-Tunisi (d. 1393 AH), Tunisian Publishing House, Tunisia, 1984.
4. **"Al-Tashil li-Ulum Al-Tanzil"** by Abu Al-Qasim Muhammad ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Abdullah ibn Juzayy Al-Kalbi Al-Gharnati (d. 741 AH), edited by Dr. Abdullah Al-Khalidi, published by Dar Al-Arqam Ibn Abi Al-Arqam, Beirut, First Edition, 1416 AH.
5. **"Al-Tafsir Al-Munir fi Al-Aqeedah wa Al-Shari'ah wa Al-Manhaj"** by Dr. Wahbah Mustafa Al-Zuhaili, Dar Al-Fikr Al-Muasir, Damascus, Second Edition, 1418 AH.
6. **"Al-Tafsir Al-Mawdou'i lil-Qur'an Al-Karim" (Thematic Interpretation of the Noble Qur'an)** by Dr. Ahmad Al-Sayyid Al-Koumi and Dr. Muhammad Ahmad Youssef Al-Qassem, First Edition, 1402 AH / 1982 AD.
7. **"Al-Tafsir Al-Wasit lil-Qur'an Al-Karim" (The Intermediate Tafsir of the Noble Qur'an)** by Muhammad Sayyid Tantawi, Dar Nahdat Misr, Cairo, First Edition.
8. **"Al-Jami' Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar min Umur Rasul Allah (Sahih Al-Bukhari)"** by Muhammad ibn Ismail Abu Abdullah Al-Bukhari Al-Ju'fi, edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir Al-Nasir, published by Dar Tawq Al-Najat, First Edition, 1422 AH.
9. **"Al-Jami' li-Ahkam Al-Qur'an (Tafsir Al-Qurtubi)"** by Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah Al-Ansari Al-Qurtubi (d. 671 AH), edited by Ahmad Al-Barduni and Ibrahim Atfayish, Dar Al-Kutub Al-Misriyyah, Cairo, Second Edition, 1384 AH / 1964.

10. **"Al-Durr Al-Mandoud fi Al-Salat wa Al-Salam 'Ala Sahib Al-Maqam Al-Mahmoud"** by Ahmad ibn Muhammad ibn Ali ibn Hajar Al-Haythami Al-Saadi Al-Ansari (d. 974 AH), edited by Boujemaa Abdul Qadir Makri and Muhammad Shadi Mustafa Arbash, Dar Al-Minhaj, Jeddah, First Edition, 1426 AH.
11. **"Al-Siraj Al-Munir fi Al-I'anah Ala Ma'rifah Ba'd Ma'ani Kalam Rabbina Al-Hakim Al-Khabir"** by Shams Al-Din Muhammad ibn Ahmad Al-Khatib Al-Sharbini (d. 977 AH), Al-Amiriyyah Press (Bulaq), Cairo, 1285 AH.
12. **"Al-Sihah: Taj Al-Lughah wa Sihah Al-Arabiyyah"** by Abu Nasr Ismail ibn Hammad Al-Jawhari Al-Farabi (d. 393 AH), edited by Ahmad Abdul Ghafoor Attar, Dar Al-Ilm Lilmalayin, Beirut, Fourth Edition, 1407 AH / 1987.
13. **"Al-Shifa bi-Ta'rif Huquq Al-Mustafa"** by Iyad ibn Musa ibn Iyad ibn Amrun Al-Yahsubi Al-Sabti, Abu Al-Fadl (d. 544 AH), Dar Al-Fayhaa, Amman, Second Edition, 1407 AH.
14. **"Al-Kashaf 'An Haqaiq Ghawamid Al-Tanzil"** by Abu Al-Qasim Mahmoud ibn Umar ibn Ahmad Al-Zamakhshari (d. 538 AH), Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, Third Edition, 1407 AH.
15. **"Al-Muharrar Al-Wajiz fi Tafsir Al-Kitab Al-Aziz"** by Abu Muhammad Abdul Haqq ibn Ghalib ibn Abdul Rahman ibn Tammam ibn Attiyah Al-Andalusi Al-Mahribi (d. 542 AH), edited by Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition, 1422 AH.
16. **"Al-Madkhal ila Al-Sunan Al-Kubra"** by Ahmad ibn Al-Husayn ibn Ali ibn Musa Al-Khurasani, Abu Bakr Al-Bayhaqi (d. 458 AH), edited by Dr. Muhammad Diya Al-Rahman Al-A'zami, Dar Al-Khulafa Lilkitab Al-Islami, Kuwait.
17. **"Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar bi-Naql Al-Adl 'An Al-Adl ila Rasul Allah"** by Muslim ibn Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushayri Al-Naysaburi (d. 261 AH), edited by Muhammad Fouad Abdul Baqi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut.
18. **"Al-Mu'jam Al-Kabir"** by Suleiman ibn Ahmad ibn Ayyub ibn Mutair Al-Lakhmi Al-Shami, Abu Al-Qasim Al-Tabarani (d. 360 AH), edited

by Hamdi Abdul Majeed Al-Salafi, Ibn Taymiyyah Library, Cairo, Second Edition.

19. **"Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an"** by Abu Al-Qasim Al-Husayn ibn Muhammad Al-Raghib Al-Isfahani (d. 502 AH), edited by Safwan Adnan Al-Daoudi, Dar Al-Qalam and Al-Dar Al-Shamiya, Damascus-Beirut, First Edition, 1412 AH.
20. **"Anwar Al-Tanzil wa Asrar Al-Ta'wil"** by Nasir Al-Din Abu Sa'id Abdullah ibn Umar ibn Muhammad Al-Shirazi Al-Baydawi (d. 685 AH), edited by Muhammad Abdul Rahman Al-Marashli, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Beirut, First Edition, 1418 AH.
21. **"Adwa Al-Bayan fi Idah Al-Qur'an bil-Qur'an"** by Muhammad Al-Amin ibn Muhammad Al-Mukhtar ibn Abdul Qadir Al-Jakni Al-Shanqiti (d. 1393 AH), Dar Al-Fikr, Beirut, 1415 AH / 1995 AD.
22. Tuhfat al-Habib ʻala Sharh al-Khatib (Commentary on al-Khatib's Explanation) Author: Sulayman ibn Muhammad al-Bujayrami al-Misri al-Shafi'i (d. 1221 AH) Publisher: Dar al-Fikr Edition: Not specified Publication Date: 1415 AH / 1995 CE
23. Tafsir Abi al-Suʻud: Irshad al-ʻAql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-KarimAuthor: Abu al-Suʻud al-ʻImadi Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa (d. 982 AH) Publisher: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut
24. Tafsir al-Mawardi: al-Nukat wa al-ʻUyunAuthor: Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad al-Basri al-Baghdadi, known as al-Mawardi (d. 450 AH)Editor: Al-Sayyid ibn Abd al-Maqsud ibn Abd al-Rahim Publisher: Dar al-Kutub al-ʻIlmiyyah, Beirut
25. Tahdhib al-Tahdhib Author: Ahmad ibn Ali ibn Muhammad ibn Hajar al-ʻAsqalani (d. 852 AH) Publisher: Matbaʻat Daʼirat al-Maʻarif al-Nizamiyyah, India Edition: First Publication Date: 1326 AH
26. Jamiʻ al-Bayan fi Taʼwil al-Qurʼan Author: Abu Jaʻfar Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH) Editor: Ahmad Muhammad Shakir Publisher: Muʼassasat al-Risalah Edition: First Publication Date: 1420 AH / 2000 CE
27. Dalaʼil al-Nubuwwah Author: Abu Nuʻaym Ahmad ibn Abdullah al-Asbahani (d. 430 AH) Editors: Dr. Muhammad Rawas Qalʻaji and

Abd al-Barr Abbas Publisher: Dar al-Nafa’is, Beirut Edition: Second Publication Date: 1406 AH / 1986 CE

28. Ruh al-Ma‘ani fi Tafsir al-Qur’an al-‘Azim wa al-Sab‘ al-Mathani Author: Shihab al-Din Mahmud ibn Abdullah al-Alusi (d. 1270 AH) Editor: Ali Abd al-Bari Atiyyah Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, BeirutEdition: First Publication Date: 1415 AH
29. Zad al-Masir fi ‘Ilm al-Tafsir Author: Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH) Editor: Abd al-Razzaq al-Mahdi Publisher: Dar al-Kitab al-‘Arabi, Beirut Edition: First Publication Date: 1422 AH
30. Sunan Ibn Majah (ed. al-Arna’ut) Author: Ibn Majah (Abu Abd Allah Muhammad ibn Yazid al Qazwini) (d. 273 AH)Editors: Shu‘ayb al-Arna’ut, Adil Murshid, Muhammad Kamil Qarabah, and Abd al-Latif HarzallahPublisher: Dar al-Risalah al-‘AlamiyyahEdition: First Publication Date: 1430 AH / 2009 CE
31. Sunan Abi Dawud Author: Abu Dawud Sulayman ibn al-Ash‘ath al-Sijistani (d. 275 AH) Editors: Shu‘ayb al-Arna’ut and Muhammad Kamil Qarabah Publisher: Dar al-Risalah al-‘Alamiyyah Edition: First Publication Date: 1430 AH / 2009 CE
32. Sunan al-TirmidhiAuthor: Abu Isa Muhammad ibn ‘Isa al-Tirmidhi (d. 279 AH)Editors: Ahmad Muhammad Shakir, Muhammad Fu’ad Abd al-Baqi, and Ibrahim ‘Atwa Awad Publisher: Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Printing, Egypt Edition: Second Publication Date: 1395 AH / 1975 CE
33. Shubuhat wa Abatil Khusum al-Islam wa al-Radd ‘Alayha Author: Shaykh Muhammad Mutawalli al-Sha‘rawi Compiler: Abd al-Qadir Ahmad ‘Ata Publisher: Maktabat al-Turath al-Islami, Cairo Publication Date: 1415 AH / 1995 CE
34. Shu‘ab al-Iman Author: Abu Bakr al-Bayhaqi (d. 458 AH) Editor: Dr. Abd al-Ali Abd al-Hamid Hamid Publisher: Maktabat al-Rushd in cooperation with Dar al-Salafiyyah, Mumbai Edition: First Publication Date: 1423 AH / 2003 CE
35. Sahih Ibn Hibban (arranged by Ibn Balban) Author: Abu Hatim Muhammad ibn Hibban al-Busti (d. 354 AH) Editor: Shu‘ayb al-Arna’ut Publisher: Mu’assasat al-Risalah, Beirut Edition: Second Publication Date: 1414 AH / 1993 CE

36. Ghara’ib al-Tafsir wa ‘Aja’ib al-Ta’wil Author: Taj al-Qurra’ Abu al-Qasim al-Kirmani (d. ca. 505 AH) Publisher: Dar al-Qiblah li-l-Thaqafah al-Islamiyyah, Jeddah / Mu’assasat ‘Ulum al-Qur’an, Beirut
37. Fath al-Bayan fi Maqasid al-Qur’an Author: Muhammad Sadiq Khan al-Qinnawji (d. 1307 AH) Editor: Abdullah Ibrahim al-Ansari Publisher: Al-Maktabah al-Asriyyah, Saida-Beirut Publication Date: 1412 AH / 1992 CE
38. Fath al-Qadir Author: Muhammad ibn Ali al-Shawkani (d. 1250 AH) Publisher: Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalim al-Tayyib, Damascus-Beirut Edition: First Publication Date: 1414 AH
39. Fiqh al-Sirah Author: Muhammad al-Ghazali (d. 1416 AH) Publisher: Dar al Qalam, Damascus Edition: First Publication Date: 1427 AH
40. Lisan al-‘Arab Author: Ibn Manzur (d. 711 AH) Publisher: Dar Sadir, Beirut Edition: Third Publication Date: 1414 AH
41. Mahaasin al-Ta’weel Author: Jamal al-Din al-Qasimi (d. 1332 AH) Editor: Muhammad Basil ‘Ayyun al-Sud Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut Edition: First Publication Date: 1418 AH
42. Marasid al-Mataali‘ fi Tanasub al-Maqati‘ wa al-Mataali‘ Author: Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH) Reviewer: Dr. Abd al-Muhsin al-Askar Publisher: Maktabat Dar al-Manhaj, Riyadh Edition: First Publication Date: 1426 AH
43. Musnad al-Shamiyyin Author: Abu al-Qasim al-Tabarani (d. 360 AH) Editor: Hamdi Abd al-Majid al-Salafi Publisher: Mu’assasat al-Risalah, Beirut Edition: First Publication Date: 1405 AH / 1984 CE
44. Mushkilat al-Qur’an al-Karim wa Tafsir Surat al-Fatiha Author: Shaykh Muhammad Abduh Publisher: Dar Maktabat al-Hayat, Beirut Publication Date: 1996 CE
45. Ma‘a al-Mufassirin wa al-Mustashriqin fi Qissat Zawaj al Nabi (PBUH) min Zaynab bint Jahsh Author: Dr. Zahir Awad al-Alma‘I Edition: Fourth Publication Date: 1403 AH / 1983 CE
46. Nawadir al-Usul fi Ahadith al-Rasul Author: Al-Hakim al-Tirmidhi (d. ca. 320 AH) Editor: Abd al-Rahman ‘Umairah Publisher: Dar al-Jil, Beirut

47. Ahkam al-Qur’an Author: Al-Qadi Abu Bakr ibn al-‘Arabi (d. 543 AH) Editor: Muhammad Abd al-Qadir ‘Ata Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut Edition: Third Publication Date: 1424 AH / 2003 CE
48. Asbab Nuzul al-Qur’an Author: Abu al-Hasan Ali al-Wahidi al-Naysaburi (d. 468 AH) Editor: ‘Isam ibn Abd al-Muhsin al-Humaidan Publisher: Dar al-Islah, Dammam Edition: Second Publication Date: 1412 AH / 1992 CE
49. Al-Adab al-Mufrad Author: Imam al-Bukhari (d. 256 AH) Editor: Muhammad Fu’ad Abd al-Baqi Publisher: Dar al-Bashair al-Islamiyyah, Beirut Edition: Third Publication Date: 1409 AH / 1989 CE
50. Al-Isti‘ab fi Ma‘rifat al-Ashab (Comprehensive Knowledge of the Companions) Author: Abu ‘Umar Yusuf ibn ‘Abd Allah ibn Muhammad ibn ‘Abd al-Barr al-Namri al-Qurtubi (d. 463 AH) Editor: Ali Muhammad al-Bijawi Publisher: Dar al-Jil, Beirut
51. Al-Mustadrak ‘ala al-Sahihayn (Supplement to the Two Authentic Collections) Author: Abu ‘Abd Allah al-Hakim Muhammad ibn ‘Abd Allah al-Naysaburi, known as Ibn al-Bayyi‘ (d. 405 AH) Editor: Mustafa ‘Abd al-Qadir ‘Ata Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut Edition: First Publication Date: 1411 AH / 1990 CE
52. Tafsir al-Qur’an al-‘Azim (Exegesis of the Glorious Qur’an) Author: Abu al-Fida’ Isma‘il ibn ‘Umar ibn Kathir (d. 774 AH) Editor: Muhammad Husayn Shams al-Din Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut Edition: First Publication Date: 1419 AH
53. Tafsir al-Qur’an al-‘Azim li Ibn Abi Hatim Author: Abu Muhammad ‘Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Idris al-Razi (d. 327 AH) Editor: As‘ad Muhammad al-Tayyib Publisher: Maktabat Nizar Mustafa al-Baz, Saudi Arabia Edition: Third Publication Date: 1419 AH
54. Tafsir al-Wasit li-l-Qur’an al-Karim (The Intermediate Tafsir of the Qur’an) Author: A group of scholars under the supervision of Al-Azhar Islamic Research Complex Publisher: The General Authority for Government Printing Affairs Edition: First Publication Dates: 1393 AH / 1973 CE – 1414 AH / 1993 CE

55. Tadhhib al-Asma’ wa al-Lughat (Refinement of Names and Languages) Author: Abu Zakariyya Yahya ibn Sharaf al-Nawawi (d. 676 AH) Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut
56. Hashiyat al-Imam al-Bayjuri ‘ala Jawharat al-Tawhid (Commentary on "Jewel of Monotheism") Author: Imam Ibrahim ibn Muhammad ibn Ahmad al-Shafi‘i al-Bajuri (d. 1276 AH) Editor: Dr. Ali Jum‘a (Former Mufti of Egypt) Publisher: Dar al-Salam for Printing and Publishing
57. Hashiyat al-Shihab ‘ala Tafsir al-Baydawi Author: Shihab al-Din Ahmad ibn Muhammad al-Khafaji al Masri al-Hanafi (d. 1069 AH) Publisher: Dar Sadir, Beirut
58. Hada’iq al-Anwar wa Mataali‘ al-Asrar fi Sirat al-Nabi al-Mukhtar Author: Muhammad ibn ‘Umar al-Himyari al-Hadrami al-Shafi‘i, known as Bahraq (d. 930 AH) Editor: Muhammad Ghassan Nasuh Azqul Publisher: Dar al-Minhaj, Jeddah Edition: First Publication Date: 1419 AH
59. The Civilization of the Arabs Author: Gustave Le Bon Translator: Adil Zu‘aytir Publisher: Isa al-Babi al-Halabi, Cairo
60. The Life of Muhammad Author: Emile Dermenghem Publisher: Isa al-Babi al-Halabi, Cairo (Second Edition, 1945 CE) / Dar al-Qalam, Beirut (2020 CE)
61. Dalil Mu’arrikh al-Maghrib al-Aqsa: Dalil Ibn Suda Author: ‘Abd al-Salam ibn ‘Abd al-Qadir ibn Suda Editor: Research and Studies Office, Dar al-Fikr Publisher: Dar al-Fikr Edition: First Publication Date: 1418 AH / 1997 CE
62. Rahmat li-l-‘Alamin (Mercy to the Worlds) Author: Muhammad Sulayman al-Mansurfuri (d. 1348 AH) Translator: Dr. Samir ‘Abd al-Hamid Ibrahim Publisher: Dar al-Salam, Riyadh Edition: First
63. Subh al-A‘sha fi Sina‘at al-Insha Author: Ahmad ibn ‘Ali al-Qalqashandi (d. 821 AH) Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut
64. Ghara’ib al-Qur’an wa Raga’ib al-Furqan Author: Nizam al-Din al-Naysaburi (d. 850 AH) Editor: Sheikh Zakariyya ‘Amirat Publisher: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut Edition: First Publication Date: 1416 AH

65. Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari Author: Ahmad ibn ‘Ali ibn Hajar al-‘Asqalani (d. 852 AH) Publisher: Dar al-Ma‘rifah, Beirut (Indexed by Muhammad Fu’ad ‘Abd al-Baqi)
66. Fayd al-Qadir Sharh al-Jami‘ al-Saghir Author: Zayn al-Din Muhammad, known as ‘Abd al-Ra’uf al-Munawi al-Qahiri (d. 1031 AH) Publisher: Al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra, Egypt Edition: First Publication Date: 1356 AH
67. Muhammad fi al-Madinah (Muhammad in Medina) Author: Montgomery Watt Translator: Sha‘ban Barakat Publisher: Al-Maktabah al-‘Asriyyah, Saida-Beirut Publication Date: 1446 AH / 2002 CE
68. Muhammad Rasul Allah: Manhaj wa Risalah Author: Muhammad al-Sadiq Ibrahim Arjun Publisher: Dar al-Qalam, Damascus Edition: Fourth Publication Date: 1440 AH / 2019 CE
69. Musnad al-Imam Ahmad ibn Hanbal Author: Ahmad ibn Muhammad ibn Hanbal (d. 241 AH) Editor: Ahmad Muhammad Shakir Publisher: Dar al-Hadith, Cairo Edition: First Publication Date: 1416 AH / 1995 CE
70. Ma‘ani al-Qur’an wa I‘rabuhu (Meanings and Grammar of the Qur’an) Author: Abu Ishaq al-Zajjaj (d. 311 AH) Editor: ‘Abd al-Jalil ‘Abdu Shalabi Publisher: ‘Alam al-Kutub, Beirut Edition: First Publication Date: 1408 AH / 1988 CE
71. Mu‘jam al-Lughah al-‘Arabiyyah al-Mu‘asirah (Dictionary of Contemporary Arabic) Author: Dr. Ahmad Mukhtar ‘Abd al-Hamid ‘Umar (d. 1424 AH) Publisher: ‘Alam al-Kutub Edition: First Publication Date: 1429 AH / 2008 CE
72. Mafatih al-Ghayb (The Keys to the Unseen, also known as Al-Tafsir al-Kabir) Author: Fakhr al-Din al-Razi (d. 606 AH) Publisher: Dar Ihya al-Turath al-‘Arabi, Beirut Edition: Third Publication Date: 1420 AH
73. Muntaha al-Su’l ‘ala Wasail al-Wusul ila Shama’il al-Rasul Author: ‘Abd Allah ibn Sa‘id al-Lahji al-Hadrami (d. 1410 AH) Publisher: Dar al-Minhaj, Jeddah Edition: Third Publication Date: 1426 AH / 2005 CE
74. Nuzum al-Durr fi Tanasub al-Ayat wa al-Suwar Author: Ibrahim ibn ‘Umar al-Biqa‘i (d. 885 AH) Publisher: Dar al-Kitab al-Islami, Cairo

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع الصفحة

مقدمة ١٧٣
التمهيد ١٧٩
المبحث الأول: مظاهر تعظيم الجناب النبوي في ضوء السورة الكريمة ١٨٨
المطلب الأول: نداءات الله تعالى لنبيه في ضوء السورة الكريمة ودلالاتها الخاصة في كل مرة ١٨٩
المطلب الثاني: ولايته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكل مؤمن وتفضيله على سائر الأنبياء ٢٠٢
المطلب الثالث: فضل الصلاة والسلام على النبي وأمر المسلمين بها وتحريم إيذائه أو إيذاء أحد من آل بيته الكرام ٢١٢
المبحث الثاني: الرد على الشبهات المثارة حول جنابه المعظم -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ٢١٨
المطلب الأول: الشبهة الأولى ٢٢٠
المطلب الثاني: شبهة تعدد زوجاته -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ٢٢٥
المطلب الثالث: حول تقديم لفظ السيادة قبل ذكر اسمه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ٢٣١
في الصلاة وغيرها ٢٣١
الخاتمة ٢٣٦
المصادر والمراجع ٢٣٨
فهرس الموضوعات ٢٥٤